عبد المجيد لطفي

عيد في البيت ..

3 1142 00193 6643

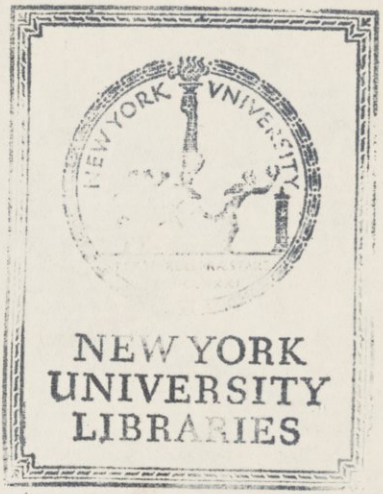

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

DATE DUE

Lutfi 'Abd al-Majid

"

Id fi al-bayt.

عبد المجيد لطفي

مع تحيات

اتحاد الأدباء العراقيين

عيد في البيت

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

Near East
PJ
7844
.U7
.I3
c.1

PJ
7844
.U79
I3
c.1

الاهـــداء

إلى ابني وصديقي

زيدون

المؤلف

اليوم الاول

— ١ —

ـ والآن وقد تفجر النهار عن حزمة الضوء الساطع والقى على الأشجار المعتمة غلالة متوهجة لكم يسرني ان احييك يا سيمون !!.

ـ طاب صباحك يا صديقي ، لقد كنت سئمة انا الاخرى فطوال هذه الأيام الكالحة المريرة لم أجد ما ينعش روحي الكئيبة !..

ـ ثمة غرائب في الحياة تدمي القلب يا سيدتي ولكن المرء عليه ان يتحمل كل الصدمات مهما كانت عنيفة ما دامت مفروضة عليه ولا مفك منها .

ـ تفضل ، لو جلست قليلاً لشعرت بالراحة ، فالهدوء هنا يكسب القلوب المتألمة مسحة من الدعة والاستسلام !..

ـ ايه ، شكراً يا صديقتي سيمون ، انني وأنا اطرح الكلالة والشجن على مقعدي غير الوثير هذا اشعر بأن يوماً جديداً يتثاءب ببطء وبلادة كبقية الأيام سوى انه يحمل شيئاً جديداً ، أتدرين يا سيمون اننا في اليوم الأول من العيد !!.

ـ أدري يا صديقي ، لقد كانت الضجة قائمة منذ اسبوع والأيام التي مرت كانت مشوبة بفرحة الانتظار ... الاطفال طيبون دائماً وان كانوا

ـ ايه يا سيدتي سيمون ... انني اشعر وانا اتلقى هذه الكلمات الوديعة ، ان الحياة تخلق للاطفال في البداية وهي اذ تحاول اعطاءهم فرصاً

مجيدة للاخوة والصداقة ، يحولهم الجشع والانانية والانحرافات السيئة التي هي ارث ضخم من السقم والانحلال ونسق وحشي للرغبات الفردية ... يحولهم كل ذلك مع الزمن الى مخلوقات شقية مضطهدة انانية ، افهمت ما اعنى يا سيمون !.؟

ـ انني أشعر معك بهذا وحين اصغي بامعان الى ما وراء هذه الكلمات الشجية المحملة بالاسى أدرك كم تعاني من بؤس ومجاعة !!.

ـ آه ما دمنا هكذا ، ندرك الأشياء بسهولة ونفهم واقع الامور بكل استرتها المهلهلة البالية والمرقعة ، فدعينا نجهر بالقول ...

ـ وما الذي يمنعنا يا صديقي ؟!.

ـ الحرص !.. والحذر !.. الآفات الدنيئة التي تقتل روح الفن وتقضي على بسالة الادب !

ـ ومع ذلك ...

ـ مع ذلك يا سيدتي فالضجة في الخارج قائمة فان ثلاثة اشخاص يتبادلون الشتائم منذ نصف ساعة وسائق سيارة يكفر ضد من آذوه وغشوا في دفع اجرته !..

اية وقاحات مخمرة عتيقة تقف هذه الأيام على قدميها وتطل بشناعة لتكسب مظهرها الوقح بمثل هذه الكلمات الدنيئة على أفواه بعض الناس !

ـ انني لا ألومك على هذه الاقوال يا صديقي ، فان صحبتك مسعدة لي ، وانه لشرف مؤنس ان تفضل هذه الغرفة مهشمة الزجاج والريح المحملة بالغبار تداعب كلما تستطيع ان تداعبه ... كل ما لا وزن له ولا ثقل !..

ـ هذه أنبل ملاحظة دقيقة منك يا سيدتي العزيزة وعجيب ان لا

تمر هذه الملاحظات التي هي أشبه بملاطفات حيية ـ على بال احد ولا على ذهن قبل ذهنك !.

ان الريح المحملة بالغبار لتداعب كل ما خف وزنه وسهل ثقله ... اذ تمسح الصور المتخلعة والاوراق المبعثرة والستائر ، حائلة اللون الرعناء لفرط ألوانها الصارخة والساذجة معاً ... اما الكراسي الثقيلة العتيقة المسندة على الجدار ، اما المكتبة التي تحتضن بكبرياء ما تضم من كتب ودواوين فلا تستطيع الرياح المغبرة ان تقلقل كبرياءها او ان تجعلها رعناء !..

ـ اذا لم يكن هذا مبادلة للثناء في وقت ضاعت فيه الحقائق والأباطيل في دوامة من رخيص القول ومبتذله فاني استطيع ان أقول ان كلماتك هذه ذات دلالة عميقة على فهم الحياة ...

ـ ذلك ان المسألة لا تحتاج الى الكثير من التفلسف يا سيدتي سيمون ... فالحياة من البساطة بمكان وكل ما يلزمنا لفهمها هو ان نتجرد من الانانية وننظر اليها بمنظار مصالح الآخرين ... فالحياة مكسب مفروض تعوزه العدالة !..

ـ لو اننا يا صديقي ، في صبيحة اليوم الاول من العيد ناضلنا ضد المعوقات المؤسفة في حياة البشرية وتطورها لاستنزف ذلك منا الكثير . . . غير ان ما لا استطيع ان اتسامح فيه هو فهمي بان الحرية هي الكرامة فهي لذلك اغلى شيء في الوجود منذ عرفت البشرية المضطهدة رنين القيود ولفح السياط وظلمات السجون ! . .

ـ شكراً جزيلاً يا سيدتي ، ان هذه الجلسة الهادئة والاطفال في الاراجيح البالية وفي اماكن لااعرف اردأ منها مظهراً واكثر زحمة استطيع

ان اعرف انني في عيد . . !

ـ انك بلا ريب لا تتوقع حضور احد ! . .

ـ اوه بلى . أي بكل تأكيد ، لا اتوقع احداً او هؤلاء الاربعة الذين زاروني كانوا عابري طريق ولهم النظرة نفسها للحياة وقد عانوا ماعانيت في ظل الحرية السابغة والديمقراطية العملية !! وما عدا هؤلاء لا اتوقع مجيء احد .. انني نفضت يدي ! . .

ـ مم يا صديقي ؟ ! .

ـ من اشياء كثيرة ! .. من توافه الرجال واشباه الآدميين ، اشـــباه الاصدقاء . . . من الحثالة التي تحاول ان تجعل من تل المزبلة مرصد نجوم ! هؤلاء لم يعودوا باصدقاء . . . فان انيابهم الممتلئة بالسم المنبعث من اعماقهم المظلمة يجعلهم حاقدين حاردين على كل انسان طيب يمجد الفضيلة ويعرف الحياة على انها امتداد انساني متواضع وحقل للمعرفة لخير الآخرين ! . .

ـ يا لهذه الكلمات الرفيعة ! انني اهنئك على هذه الاحكام الصائبة .. ومع ذلك هل لي ان اسألك ! ؟ .

ـ ولم لا يا سيمون يا سيدتي ، انه لحظ لي ان اجد لحظات من الأمن والارتياح لاصغي اليك وانظر الى عينيك يتوهج فيهما جمال المرأة الناضجة وتطل منهما الكبرياء دون ما غلواء واستكبار . . . ولا حماقة ! . .

ـ هل لي اذن ان اسألك يا صديقي لماذا رأيتك باكياً ليلة امس وقد رفعت رأسك براحتيك !

ـ آه . . . شكراً يا سيدتي سيمون العزيزة لقد ذكرتني من جديد حتى لاكاد ابكى ثانية . . . لقد بكيت كلباً عزيزاً مات . . . فالحرارة اللوعة

التي تركها كلب وفي جميل . . . ما كان اوجع ذلك علي .

- أني لا استغرب ان يبكي الانسان كلباً مات وارتحل ... ولكن ...

- لا اريد استدراكاً يا سيدتي سيمون فالكلب لم يكن لي . . . كان كلباً لجار من الجيران ولكنه كاد ان يكون كلب الحي برمته ! . .

كان عالياً شامخاً ، رمادياً كجلدة ذئب صاف وصوته الحاد الوائق يهز رعب الليل ويملأه شجاعة في الوقت الذي يدفع الرعب في قلب كل من تسول له نفسه سوءاً للدنو من اسوارنا ! . . وعدا ذلك فقد كاد ان يكون كلبي الخاص فهو صديق حميم ومتلطف . . . ومن المؤسف ان يموت في عنفوانه .

فلقد اخبرني الاطفال انه دهس . . . وكان الدم يسيل من فمه العريض وهو بارد بلا حياة ! يا لروعة الوفاء في الكلاب ! . .

لذلك بكيت يا سيمون العزيزة . . . وسأظل اذكره بين حملة الوفاء حين افتقد الوفاء في الناس . ناس هذه المرحلة القلقة . . . ناس هذه الأيام . . .

- اذن فأقبل تعزيتي يا صديقي ، فلكم انا آسفة لذلك فانا الاخرى احب الكلاب ولكن احب النوع المدلل الثري المسترخي منها . . . الكلاب الصغيرة ذات الشعر الطويل الدافىء التي تكسب السيدة الوقور دلالة معينة !.

- على انها . . . مهما تكن فهي من السلالة ذاتها . ومن الوفاء بمكان . . .

- لقد اشتد الغبار يا صديقي . . ياله من نهار كان بديعاً قبل حين ، ولقد رأيتك ترش الاشجار في مطلع الفجر وأنت هاش لا ندري ان ثمة

غباراً سيلقى على كل عملك النبيل ظلا من العتمة والحقد والايذاء . . .

ـ نحن دائماً هكذا يا سيدتي . . . ان علينا ان نطرح ما حولنا من اوساخ ونعمل بدأب لجعل حدائقنا زهراء وقلوبنا نظيفة . . ولا نكترث كثيراً بالأشباح الآدمية التي تصعر خدها ولا باشباه الاصدقاء واشباه الادباء ، واشباه الكتاب . . فان كل امريء يعرف بمسيرته ونهجه . . . ومن العدوان على الانسانية ان تنسى انها بنت المجد والخلود وانها لقادرة يوماً ما على القضاء على جميع اعدائها والازدهار والنمو والجمال في ظل الحرية .

ـ شكراً لهذا . . . ، خيل لي ان المساءة التي نالتك طوال الاعوام الثلاثة الماضية قد ملأتك بالحقد والخيبة . . . ولكنك تبدو لي هذه اللحظة انك اكثر ضوءاً ووداعة ! . .

ـ اشكرك على كل هذا الاطراء . . لكني لا استطيع وأنا اتقبل هذا ان اخفي عنك خيبتي . . . فلست حاسداً حاقداً ولكني مخيب يا سيدتي سيمون ! .

ـ مع الاسف ، ان هذا لمزعج يا صديقي . . . ومع ذلك فمم انت مخيب ؟ ! .

ـ من اشياء كثيرة . . . من حلم وكابوس . . . ومن شظف وامل . . . من جملة اشياء ! . .

ـ هذا شأن الأدب . . . وما دمت كثير الاهتمام بما حولك فأنت واجد شبح الخيبة او الخيبة نفسها بين الحين والآخر ، . .

ـ اسمعت شيئاً يا سيمون ؟ ! .

ـ خيل لي ان احداً يطرق الباب . . . يغني . . .

ـ آه ... انهم القادمون كصلال الفلى ... انهم الشعراء الاولون ... يا لاصواتهم الشجية المترعة بالكرب والضنى ! ..

ـ شعراء ؟ !

ـ ومغنون يا سيدتي سيمون ... لم يعد لمثل هؤلاء من اثر في بلادك ولا في بلادي الا في الأعياد حين ينحدرون من خيامهم السوداء يمجدون كل من لايستحق كلمة ... انهم كهوميروس يكتبون بكلماتهم الشجية المحدودة تاريخاً مكذوباً في كل باب ... انهم شعراء الربابة ... وما اكثرهم هذه الايام ... ولكني اظلم هذا الشاعو الذي يغني على بابي وينعتني بكل ماليس في ، اني اظلمه حين اقارنه او اضمه الى شعراء الربابات هذه الايـام ... التائهون المتسكعون دون كرامة !

ـ لم اكن لاعرف ان فيكم شعراء كهوميروس ... يتلون اشعارهم على الابواب ... فدعنا نصغي اليهم ، ... الى واحد منهم على الأقل ! ..

ـ ولكن قبل هذا يجب ان ننفحهم شيئاً فهؤلاء تعســـاء بائسون الى اذقانهم لا يذوقون شواء مرة في الشهر .. !

انهم بكل بساطة ومذلة ، متسولون يذلون رجولة الرجال تحت وطأة عاصفة لئيمة من الضنك والتشرد ... !

استودعك الله ... فياله من نهار جديد ملؤه الغبار والحداء الحزين والتسول والأسى ...

ـ والى اللقاء ...

ـ بالتأكيد يا سيدتي العزيزة ... فلا بد لنا من لقاء جديد ! ..

اليوم الاول

— ٢ —

ـ طابت ظهيرتك يا سيدتي سيمون ... ها آنذا قد عدت !..

ـ مرحباً بك كيف انت مع الشاعر المتجول !؟.

ـ لقد رحل يا سيدتي ... اخذ هبتي مسروراً وطوى عباءته وقذف نفسه نحو الباب التالي ... وعرجت بعد ذلك الى الحديقة والى خميلة الكرم وشجرة الخوخ التي يأكلها النمل ... وحنفية الماء التي تسكب ببطء وكسل وبخل كأنها تستقطر الماء من صحراء يابسة !..

ثم طفت هنا وهناك اكتشف بيتي ... ودخلت غرفة الدجاج وتأملت الديك يساوي ويعدل بين زوجاته !.. ويخضع الجميع بارادة عظيمة لرغباته !..

ـ يبدو انك راقبت غرفة الدجاج طويلاً

ـ صحيح يا سيمون العزيزة ... حاولت ان اجد بيضة ... ولكن عبثاً ما حاولت فان البيض قليل هذه الايام ... لقد توقف الدجاج عن وضع البيض !..

ـ شيء غريب ... هل انت جائع !..

ـ بعض الشيء ياسيمون ... اغلقت غرفة الدجاج وبحثت في الحديقة عما يؤكل فكان كل شيء فيه فجاً وتافهاً ولا يغني من جوع ! ومع انني ابذل

الكثير لهذه الحديقة فعجيب الا اجد فيها ما يندي فماً او يدخل معدة غير ان الخضرة الزاهية تعويض شعري وخيالي لمن ينشد النسيان مثلي هذه الأيام ...

- يا للاسف، لو انني استطعت الحركة لصنعت لك قهوة لن تنساها ...

- القهوة ! لقد ذكرتني بها يا سيدتي سيمون لكم احبها !.. ولكن بيتي خاو منها .. ليس هناك سوى كمية من السكر ونصف صفيحة من سمن مغشوش ينتج بشكل رديء لاسترباح فاحش !

- وما زلت جائعاً يا صديقي !؟.

- نوعما يا سيدتي !..

- اذن اوجدت شيئاً يؤكل ؟..

- بلى، كسرات من الخبز ... قطع خبز يابسة عليها قشرة خضراء ... بقايا عفن ربما كان بنسلينا صالحاً لمعدة مريضة ! وانه لرائع ان يجد الجائع في بيته بقايا خبز حوله القدم الى بنسلين ... ومع هذا فان الأمثال تقول : البقرة الجائعة تأكل الحشيش المر ...!

- صحيح فانه لترتيب غريب ان يكون وجودنا وعاءاً قابلاً للتلف عندما يطول أمد خلوه وفراغه ... يزداد الغبار كثافة !..

- يا للأسف ... وأمس غسلت ثوبي الابيض ... وكويته بيدي فالمرء حين تطول اقامته في البيت وتلين قناته وتسلس عريكته يتحول من سيد جوال نافذ الكلمة الى خادم حزين مغلوب على امره ... يا لتعاسة الرجال حين تطول اقامتهم !..

- انك تحاول ياصديقي ان تنال من المرأة زوجة واماً واختاً ولكنك

لا تفعل ذلك تأدباً مني !..

- ان حماية الجنس من الانقراض موضوعة بدون رأفة في ايد غير امينة ... فنحن الرجال الذين بدأنا نفقد اعصابنا سنقع اعياءاً وتلفاً في العالم أجمع !..

- أيعني هذا ان ذلك سيؤدي الى كارثة !؟.

- كلا فنحن في العالم كله مقبلون على كارثة لابد منها ... كارثة يصنعها الجشع ويحوك نياطها المتآمرون واللصوص والاحتكاريون والسفلة ... واعذريني من هذه الكلمة التي ما كان يجب ان تقال بمحضر من سيدة عظيمة مثلك ... ولكن الذين يقلقون السلم ويدفعون الابرياء نحو الحروب ويمزقون اوصال طلاب الحرية ويكبلون ايدي المخلصين لاوطانهم في العالم ليست لهم غير تلك الصفة !..

- بدأ الغبار يزعجك يا صديقي فان صوتك اكثر ضجة وكلماتك اكثر حدة ثم انك تسعل وتتصبب عرقاً ... وفي مثل هذه الحالة يحسن بك ان تستلقي وتستريح ولو انني كنت قادرة على مساعدتك في هذا ، لربما مسحت على رأسك الذي وخطه الشيب وغيرت هذه الابتسامة الى شيء اكثر اراحة ... ولكني كما ترى مشلولة عن ابداء اية مساعدة سوى هذه الكلمات القليلة التي توحي لك ببعض الأمل ...

- اشكرك كثيراً يا سيدتي ، يكفي المرء خيراً ان يجد من يصغي اليه او يستمع منه كلمة نافعة في وقت ملأت البلادة آفاق العالم !...

انني ضد الثرثرة اذا كنت تعلمين ومع ذلك فلابد من شكوى لذي

مروءة .. ولابد من بث الحزن ولابد من تعلة في المصاب والخيبة او الوجيعة ... وانك لحسن الحظ لقادرة على تحريك ما في نفسي من ركود ... ففي قرارة نفسي عاصفة ربما اشد من هذه الزوبعة ... انني يا سيدتي لظامىء الى شيء افتقده ... الى شيء عزيز لا يمكن ان اجد له بديلاً ...

ـ افهم ما تفتقده ؟.. وخير لك الا تبحث عن امور مزعجة في مثل هذا الجو العاصف المليء بالغبار وبما هو اسوأ !.. لست اكره الحرية ولكني لا اريد ان اتحدث عنها طويلاً !..

ـ ولكن الحرية يا سيمون ... رائد الفن والادب والحياة والتقدم !..

ـ هذا صحيح ولكن الحرية لا تزال في معظم اطراف العالم كلمة مزخرفة ... أشبه بتابوت ذهبي ترقد فيه قطة متفسخة !..

ـ أهذه هي الحرية يا سيمون !.؟

ـ اني اعرفها كما عرفتها شارلوت كورداي اتذكرها يا صديقي ؟!.

ـ أجل يا سيدتي سيمون ... اتذكر الكلمة واتذكر شارلوت وهي تقول كلمتها المأثورة على المقصلة .. اعرفها حتى لأكاد احسب انني عاصرتها تحدثت اليها وعشت مع آمالها وآلامها طوال فوضى الثورة الفرنسية ودمويتها !.

ـ هذا يساعدك ان تفهم قضايا الساعة والحرية في كل مكان ... قالت شارلوت كورداي وهي تنظر الى المتفرجين بمرارة قبل ان تضع رأسها الذهبي على النطع ... قالت للعالم والتاريخ والبشرية شاتمة حزينة « ايتها الحرية !.. ما انت الا كلمة ! »

- يا للاسف ... وهوت المقصلة تفصل الرأس الجميل ... ثم تأكل شخصاً من المتفرجين لمجرد انه قال - يا لعظمة الحرية !..

- لقد كانت شارلوت بصيرة وعظيمة حين قالت تلك الكلمة ... ذلك لانها عاشتها كلمة في القاموس والتداول والخداع والبرلمان والصحافة فلو لم تكن الحرية كلمة يومئذ لما اقتيدت شارلوت كوزداي الى المقصلة !

- شكراً لهذه التفصيلات يا سيدتي سيمون ، ان اوجع ما في الوجع وانكى ما في الجرح الناكىء هو ان الحرية في اكثر انحاء العالم ما زالت كما قالت شارلوت ... ما زالت كلمة !..

ولكنها حين تتحول وتتجسد وتأخذ قوتها الخالدة من الشعوب ... وتصبح ارادة عندئذ يا سيدتي سيمون ... لا تكون كلمة ، لانها تكون ارادة وتكون شعباً !..

- انك تلهث عجلان متألماً ... ماذا حل بك يا صديقي !؟.

- اوه انه الغبار يا سيدتي .. غبار اليوم الاول من العيد لا تصده النوافذ المهشمة ولا تمنعه حواجز الشجر المكلل بالغبرة والتراب فان كل شيء قد أخذ كفايته منه غير أن رئتي تشبعت منه تماماً ...

- عليك ان تغتسل !.. حاول ان تتبرد فان هذا قد يساعدك ...

- أشك في جدوى هذا يا سيمون ... فان شاعرنا الكردي « بيكس » يقول لو ان جميع انهار العالم صبت في قلبي لما أطفأت جذوة حبك يا وطني فيه ... اما انا فاقول لو ان جميع بحار العالم ارادت ان تغسل قلباً حزيناً من الحزن لما استطاعت ان تفلح لحظة !.. فانا حزين وبرم واستشعر بمرارة

حادة وبقدر ضليل متحذلق اعمى هو الآخر يدنو ليسد الضوء على عالمي !..

ـ قلت لك ياصديقي في مثل هذه الحالة النفسية التي انت فيها تصبح الحياة كارثة تصبح عبئاً لا مفك من تخفيفه بالتخلص من بعض ما يمكن التخلص منه !..

ـ شكراً مرة اخرى ... ان هذا التشرد نوع من الهروب ... نوع من الشعور بالانخذال والخضوع له ايضاً !..

فانا اكره الهزيمة ... من اي نمط وطرز فالهزيمة مذلة ... وهذا ما جعل الدكتور فيدل كاسترو بطلاً ...

ـ انه لرائع يا صديقي ان تذكر الرجل في هذه العاصفة ، ان كاسترو رجل مدهش ورائع !.. انسان نبيل لانه متجرد من كل انانية

ـ هذه الكلمات على بساطتها تذكرني بكلمات اخرى عربية ويبدو لي ان كاسترو يعمل من حيث يدري او لا يدري بحكمة تلك الكلمة ...

ـ وما هي يا صـــديقي ؟!. تدور طويلاً بعض الاحيان قبل ان تقول شيئاً !..

ـ حسن جداً يا سيدتي .. ما دمت متبرمة ايضاً فان الكلمة العربية تقول او توصي الخائفين بان يكونوا شجعان واقوياء ... تقول لكل من يريد الحياة : اطلب الموت توهب لك الحياة !

ـ يا لبطولة قائل هذه الكلمة ! . . كم لديكم من روائع الكنوز الفكرية يا صديقي ! . .

ـ اشكرك على هذا الثناء يا سيدتي سيمون فمع انني رجل كردي

فانه لفخر لي ان تكون السيرة العربية مجيدة ومليئة بكل هذه المآثر والافكار . . .

اتعبة انت يا سيمون ؟ . .

ـ اكاد اكون ... فأن الغبار في الغرفة الآن اكثر كثافة من ذى قبل ..

ـ اذن فأستودعك الله فان كلانا بحاجة الى الراحة بعض الوقت !

اليوم الاول

— ٣ —

ـ مساء الخير يا سيمون ! . . ما انفك الغبار منعقدا ساخراً بكل جمال وبكل خضرة . . . لقد اتسخ كل شيء تقريباً . . .

ـ مرحباً بك اذ تواجهني من جديد مرة ثالثة في يوم واحد . .

ـ ذلك لان الصمت يورثني مرارة الموت فاحب ان اتحدث اليك ، احاول ان القي في هذا الركود المرير شيئاً من الطلاوة والنغم ! وانت فتاة ذكية وقادرة . ، . ويؤسفني انني تأخرت بعض الشيء في الادلاء برأيي عنك يا سيمون . . .

انك بكلمة واحدة امرأة رائعة ونبيلة وبسيطة . . . ثم انك في قمة هذه الكلمات جميلة جداً . . . كثيراً ما اعجبت بهذه الابتسامة الغضة المتوهجة على ثغرك وبالقرط في أذنيك شارة الجمال الانيق . . . ولا شيء فيك ينال مني قدحاً او مذمة ! . .

ـ اشكرك يا صديقي انه لعبث لا طائل من ورائه ان نخادع الحياة ونقنع انفسنا بصلاح الناس لمجرد اعجابنا بهم فأنا في الواقع كالاخريات لي نقائصي فلا تحاول ان تجعل مني آلهة يونانية ! . .

ـ آسف اذا لم اكن صادقاً في وصفي يا سيمون على أنني معك في ان من اخطاء البشر انهم حين يحبون او يعجبون ينسون انهم بشر ملء اعطافهم

الخطأ والغرور ولكيما يعيش المرء سعيداً يجب ان يعيش متحفظاً باحكامه على الآخرين ... وهذا صحيح وصحيح جداً ولكم حزنت من مرات لتسرعي في اعطاء قرارات سريعة نالتني المحنة من جرائها لاني في سورة من المودة والاعجاب نسيت ان البشر صندوق عتيق مفكك الالواح ... دب اليه السوس منذ صنع !!

- ان الغبار على ما يبدو سيخف وعندئذ سيجد الاطفال بغيتهم ... سمعت ان اولادك قد عادوا مكتئبين ... لقد اصيبوا بمرارة الخيبة ! ..

- نعم يا سيدتي سيمون ... كانوا مكروبين وحزانى وكاسفي البال ... ومع ذلك فلقد سررت لوجودهم ... فهم يجلسون في الردهة يلعبون الورق ويتسابقون على زجاجات الكولا ... يقطعون الوقت المغبر ارباً ارباً بنوع خاص من التحدي لكل ما يؤذي وهم بذلك يتعلمون الصمود امام المزعجات على انهم لحسن الحظ لا يحبون هذه الغرفة أو لا يحتملون البقاء معي حين اتكلم او اكتب وتلك لعمري محمدة لهم ! ..

- هذا نوع من الترويض ... يبدو انك كنت قاسياً معهم الى ان جعلتهم هكذا ! ..

- بعض الشيء ... ولكنهم حين تعودوا ذلك لم يعودوا ليتألموا ... نسيت ان اقول يا سيمون العزيزة ان من فضائل الاطفال انهم جاءوني بثلثي صحف اليوم الأول للعيد ...

ونشرتها امامي وقرأتها واحدة واحدة ثم نفضت يدي ... واقسم ان الخواء والتفاهة بضاعة معظم الصحف هذا اليوم ... ويكفى ان تعلمي انني انتهيت منها خلال ربع ساعة الا واحدة تركتها لفرصة اوسع فهي الوحيدة

التي تعطيني ما تأخذ . . .

ـ الصحافة شيء نبيل ومقدس في كل مكان !

ـ مع انه لا يجوز لاحد أن يعطي احكاماً عامة مطلقة يا سيدتي سيمون فانه من حيث المبدأ ان هذا صحيح . . . المفروض ان الصحافة شيء مقدس الرسالة . . . ما دامت دفاعاً عن فكرة وتجاوباً مع ارادة الناس ! . .

ـ اتريد ان تقول واين مثل هؤلاء الناس في العالم هذا والايام . . . فحيث تلتفت ترى نقيض ما تقول . . نقيض ما تعرف . . . فالاحتكارات في الغرب تجعل من الصحافة وسائل خداع وغش واغراء ورذيلة . . . وحيث تكون الاوطان الجديدة المتحررة من ربقة الاستعمار تصبح الصحافة ابواقاً ناشزة عديمة الايمان بما وجدت من اجله ! . .

ـ انا لا استطيع يا سيدتي سيمون ان اقول كل هذا ، ربما من المحظور علي ان اقوله . او أن افصح عنه فبعض الاحيان نفرض على انفسنا حدوداً نعرف المهالك في تجاوزها ولكن ما دمت قد قررت حقيقة ساطعة فانا اؤمن معك واعترف أن كثيراً من صحافة اليوم في بعض انحاء العالم انشوطات خانقة وصفارات للقطعان التي تقاد الى المجزرة . . .

ـ انا اعرف صحافة امريكا جيداً ولا اظنك تجهل طريقة حياتها . . .

ـ ويبدو لي ان الطريقة نفسها تحاول ان تسري كالوباء في انحاء العالم الاخرى ، في اي مكان لم تقف فيه ارادة الشعوب على قدميها لتحول دون ذلك ! . . .

ـ الصحافة عمل كأي عمل ولكنه عمل يجب ان يظل نظيفاً . . . ومن المؤسف ان معظم الصحف في العالم هي في ايد شريرة غير مخلصة وهذا

واحد من اسباب التذمر والاستياء وتجمع الاحقاد وتبلبل الاحوال ! . .

- ولكن الامر مع ذلك لا يستدعي القلق فالابواق التي تدعو للحرب وتؤله الاحتكارات وتجسد العري وتدعو الى الشهوانية المطلقة ليست غير وباء قصير العمر . . . كفى انها عاشت الى الآن في اداء رسالة غير نبيلة ويؤسفني انني استعملت « الرسالة » في غير موضعها فلن تكون « الرسالة » وسيلة من وسائل الشر والتخريب والتأليب والوقاحة !

- انك في هذه الملالة تسبغ على جونا القاتم شيئاً من الحياة . . . إنني جد مبتهجة لانك تواجه الحقائق دون انهزام او دفاع عن الجبن والهزيمة . . .

- ان الأمر لا يتطلب كبير شجاعة حتى يقف المرء في الجانب السليم ويتخذ موقفاً عادلاً من الأمور ... اذ جاء الليل - بالمناسبة - وبقى هذا الغبار الكثيف عالقاً في السماء فسأحتاج عندئذ الى نسيان الحياة بطريقة اخرى !

- ايعني هذا انني لم اعد قادرة ان اتحدث اليك عن شؤون اليوم ! ؟ لا الوم نفسي كثيرا فانا امرأة قليلة الاكتراث بالسياسة وانتم رجال الشرق غارقون بالسياسة الى اذقانكم . . .

- علة ذلك اننا نشعر بالشقاء وانعدام العدالة وبقاء اشواك الاستعمار متلبدة في لحومنا . . . ذاهبة عميقاً وراء جلودنا . . فنحن نبحث حين نبحث في السياسة ، نبحث عن الأمل وعن الحرية وعن التمتع بحياة كريمة خالية من الدسيسة والكذب والرجعية ووطأة الجهل والبطالة ! . .

- هذا منطقي اذا اردت الحق فكل الشعوب وهي تصل حريتها بشكل وبآخر ، حين تصل ما تريد تجد انها ما تزال غير متكاملة ، لا تزال

بعيدة عن الحرية . . . ومأتى هذا هو جشع الغرب . . . انه ليخاف الحرية خوفاً عجيباً لذلك يضع في طريقها العراقيل بألف صورة ! . .

ـ هذه الكلمات المؤنسة الى تقرر حقيقة الاستعمار ومايصنع وكيف يحارب تقدم الشعوب ، يضع في يدي ومن جديد ادلة مقنعة بأن نضال الشعوب لا نهاية له خلال اعوام التحول هذه في العالم كله !

وببساطة اردت ان اقول اشياء اخرى . . . لا يتسع لها الوقت الآن .

ـ أيعني هذا . . . ان وقتك اضيق من ان يتسع الآن .

ـ لا ادري على وجه الضبط . . . غير انني قلق وحزين وشيء مضطرب . . . حتى لاكاد اشعر أن اي جديد لا يأتي بما اطمح فيه لا جدوى فيه !

ـ من المهم ياصديقي ان لاتحاول القاء العمومية على افكارك فلا تعطي احكاماً شخصية ذات صفة معممة . . . فالحرية كالخبز كل امرىء يصنعها بتنوره الخاص ! . .

بعضهم يجعلها مدورة قوراء شهية وبعضهم يصنعها في الافران ذات قسمات متباينة !

ـ ولكنها يا سيدتي العزيزة تظل في جميع الصور والاشكال خبزاً صالحاً يؤكل . . . لا يتحول الى نشارة او حلفاء او مسحوق زوان ! وهذا هو وجه الاختلاف . . . فالمرء حين يصنع خبزة بطريقته الخاصة عليه الا ينسى انه يصنعه للآخرين ويجب ان يكون هشاً وصالحاً وهكذا هي الحرية ... والا عدنا الى شارلوت كورداي من جديد . . . ! !

ـ اني لا اجادل طويلاً فيما لا غناء فيه ، انك يا صديقي عبثاً تحاول

ان تقول شيئاً نافعاً في امر الحرية ، ذلك ان الامر يفتقر الى كثير من الشـــجاعة ! !

- انني يـا سيدتي سيمون حين انزل على هذا الحكم واخضع للصفة الجديدة المؤسفة التي تلقينها علي بكل صراحة ، لا اجد الا ان اقول ان الحرية من صنع الشعوب لانها خاضعة لمداركهم ومفهومهم فهي لذلك ذات الوان وهياكل وسمات متطورة مع الزمن . فان حرية بطش الكنيسة واحراق الاحياء وتفكيك اعضائهم وقطع اعضائهم الجنسية فيما مضى تحول الى حرية القضاء اي الى عدالة . . . وهكذا فان مسيرة البشرية لم تكن على ميادين وحقول ورد . . . كانت ابداً عبر اشواك !

- اني موافقة واستطيع ان اؤكد لك بأن الحزم الذي تتصف به المجتمعات البشرية هذه الأيام قادر على ســـد جميع المنافذ على الافكار الرجعية والجبروت والاستبداد والغطرسة ولذة التحكم والانانية . . .

- بديع . . . انه لألتقاء حاشد بـالقوة ان نقف معاً هكذا في هذه الأمسية المغبرة يا سيدتي سيمون لنصل هذه الحقيقة الساطعة الذهبية وهي ان الحرية من صنع الشعوب وما تصنعه الشعوب لا يستطيع ان يستأثر به افراد من اي لون وجنس ونحلة ! . .

استودعك الله هذه المرة الى الغد وربما الى نهار صاف خال من هذه الغبرة التي تخنق الصدور وتحاول ان تكتم الانفاس ! !

اليوم الثاني

— ١ —

ـ صباح الخير يا سيدتي فهوذا صباح جديد ! . ما اعذب ان يتنفس الانسان نسمة يوم جديد !

ـ مرحباً بك !.. كيف كانت ليلتك ؟.!

ـ خانقة ... فثمة ضـــلالات وهواجس غير الغبار داهمت ليلتي ... فخيل لي ان الحياة جب مسدود الكوى !..

ـ هذا مجرد وهم ... هلا جلست قبل ان تســـمم هذه الدقائق الجميلة !!.

ـ انه لكرسي خشن ومع انني شديد التقشف فانه يلكز ضلوعي ... ايه ما اعظم ان يشعر المرء بالاطمئنان وبالعدالة ... وبوجود شيء من الدعة والاستقرار ... ولكن هذا الصفير من حولي يزعجني هذه اللحظة !..

ـ انه بلبل !.. فما دمت تعني كثيراً باشجارك وتجعلها كثيفة يانعة فلابد من اعشاش تقيمها البلابل طوال الموسم... اصحيح انك ضيق الصدر بها الى هذه الدرجة ؟ . . ان البلابل طيور رائعة . . . وان كنت اكرهها في الاقفاص !..

ـ انَ هـــذا البلبل اللعين ، المزهو يقطع علي كل تفكير حتى لاكاد انصرف عنك ايضاً فان الرتابة مملة في كل شيء !..

- اما زال الكرسي خشناً يؤذي ضلوعك !؟ .

- بعض الشيء . . . وهذا يذكرني بحادثة طريفة فيما مضى . . . فلقد دعيت ذات مرة مع طائفة من الاصحاب الى دار رجل متبطر يدعي الادب لتناول عشاء الوكيرة في بيته الجديد المؤثث تأثيثاً فاخراً عصرياً ولكن كم كان عجبي حين اجلست داخل كوخ مقام على انماط الاكواخ الهندية واقتعدت مكرهاً جذع شجرة وتناولنا شرابنا على ضوء مصباح بدائي يشتعل بزيت الحوت ويترك دخاناً كريهاً . . .

فلما اظهرت امتعاضي وأسفي ابدى الكثيرون عجبهم . . . وقال المضيف : هذا تبديل ! ! . هذا جديد ، فعلى المرء ان يتذوق كل ما يحلم به ويراه ما استطاع الى ذلك سبيلاً !

فهؤلاء الذين شبعوا من حياة البذخ والاسراف والتمتع بما في الحضارة من متعة البطن والجسد من الاموال المسروقة من الشعب والمبتزة منه بأمكر الطرق واحطها ينشدون التبديل فيتواضعون حين يقدمون على اقامة اكواخ هندية في دورهم العامرة بكل شيء لا لشيء سوى ان يتذوقوا حياة كوخية ... حياة بائسة بعض اللحظات !..

- هذه امور تحدث فحتى عندنا وقد بلغنا شأوا من الحضارة توجد هكذا انماط فاولئك الاغنياء الذين يخاطرون بحياتهم عبر البحار وفي المستنقعات والغابات للصيد والاستكشاف انما يقومون بذلك قتلاً للرتابة والملل ... انهم يحاولون التخلص من الترف والبذخ والفسق بعد ان انهكوا قواهم فيه ... فهذه هي الطبيعة البشرية ... لا مناص من الرضوخ !..

- حياك الله يا سيمون فليس هذا دفاعاً مجيداً ... ان المتخومين اشرار

بالوراثة او الفطرة او الممارسة . . . فلو انهم خففوا قليلاً من عبء الجشع الذي تنوء به قلوبهم وعقولهم وردوا بعض ما سرقوا تحت حماية القوانين العصرية المقنعة في عهود برلمانات مزورة سخيفة وانانية لاصبحوا على شيء من الدعة والارتياح ... ان ذلك الشخص الذي جمعت له امه ثروة طائلة ... فشبع من الترف الذي اغرق فيه شبابه فاقام كوخاً هندياً في داره الكبيرة ليتذوق طعم الاكواخ ما هو غير سوس ملوث يأكل اللب بشراهة دون حساب لما يحدث من تلف وكان من الأجدى على مثل ذلك التائه وغيره من اضرابه ان يفكروا بمجتمعهم الذي يرزح تحت اكفان البؤس والمذلة والجهل . ـ فما ضره لو اقام قرية صغيرة في مزرعته او اقام اكواخاً عصرية نظيفة فيها وسكن مع فلاحيه بعض الايام ...

ـ لا يمكن لمثل هؤلاء ان يفكروا باستقامة فان اللصوص حين يسرقون لايفكرون الا بشيء واحد هو اين يخبئوا ماسرقوا ثم كيف يتمتعوا بما سرقوا !!.

ـ لقد انقطع البلبل عن الشدو وانه لمن حسن حظي ان يغادر الخميلة التي يقيم فيها عشه فانا الآن اشعر ان آفاقاً جديدة يجب ان تتفتح امامنا حين تتحدث في هذه الصبيحة التي لا تزال شمسها كامدة واشعتها مثقلة بالغبار ...

واذا جاز لي ان اقول شيئاً هاماً في هذه الجلسة فاني احتاج الى شيء من الشجاعة يا سيمون ... ان اسوأ ما فينا نحن الرجال هو الحذر والتردد ... وهذا يعني اننا نقيم دائماً موازيننا على ضوء مصالحنا فنحجم عن قول ما هو صالح وكريم ونبيل وشامل اذا ما اصطدم او حدد مصالحنا . . . ولعل هذه العلة المؤسفة تصيب المثقفين والمتعلمين وذوي المكانة الاقتصادية والاجتماعية

اكثر من سواهم !..

- جميل منك هذه التقدمة ، على ان الواقع الذي يجب ان لا يغرب عن بالك هو ان هؤلاء الذين يتصفون بالحصافة والمقدرة على الفهم والتحليل - على حق في اكثر ما يصنعون وسبب ذلك انهم بلغوا ما بلغوا بشق الانفس وبالبذل والمواربة والخداع وبالتضحية بكثير من القيم المجيدة فهم يحسبون لفقدان ما ربحوا الف حساب ... انهم حين تنمو مراكزهم المالية والاجتماعية ، تنمو تبعاً لذلك مراكز الانانية والجشع في نفوسهم ...

اما الذين يتقحمون الردى ولا يرهبون وعيداً فهم الذين ينطبق عليهم المثل الشائع « المفلس في القافلة امين !.. »

- ولكن للمفلسين يا سيدتي سيمون ما يدافعون عنه ويعيشون من اجله . . . لهم مثلهم ودفاعهم عنها . . . وتلك هي كل حياتهم الخالدة !

- ذلك لان مثلهم تلك توصلهم الى حياة افضل والى عدالة تعطيهم ما يستحقون وتضعهم في اماكنهم ... انسيت ؟... لقد خطب زعيمكم الطيب خطبة سديدة المعنى في مؤتمر المتصرفين فخاطب الحاضرين قائلاً : ان الظروف هي التي وضعتهم في مواضعهم ليؤدوا خدمة للشعب ... وللناس ...

- لقد اعجبت انا الآخر بهذا الحكم الصائب والواقعي ... ان الظروف تضع بعض الناس في مواضع لم تكن من حقهم ولكن العجيب في الأمر ان بعض هؤلاء ينسون الظروف التي وضعتهم حيث هم الى ان يجيء رجل واع مدرك ليذكرهم بالحقيقة ويفتح ابصارهم على مراكزهم ومزاياهم ... ولكن معظم الذين تخدمهم ظروف خاصة او طارئة ينسون حتى الكلمات الواعية الذهبية في اول موقف جدي يعاكس مصالحهم ...

ـ ان الانانية في الشعوب المتحررة حديثاً علة العلل ومصدر الشقاء ... فالاحتفاظ بما ليس هو بحق ولم يأت عن طريق طبيعي هو الذي يجعل علاقات الناس ... السادة والمستعبدين قائمة على التوتر . . . مشدودة الى درجة الانقطاع !..

ـ هذا يقع في كل مكان ... سوى انه في بلادي اقل حدة لأن الامور هناك مبنية على شيء من التشبث الشخصي وعلى نوع من الرقابة وسيكون لكم مثل هذا مع الزمن !..

ـ المعذرة يا سيدتي سيمون ... هل افهم من هذا ان الشعب هو الرقيب في بلادك !؟.

ـ نوعما يا صديقي ولكن الرقابة فردية ما دامت قائمة على التشبث الشخصي واعني بالرقابة رقابة دور المال والمؤسسات التجارية ومنافساتها وتأثيرها بالتالي على الحياة السياسية ... انكم مجتمع جديد وستنشأ فيه مثل هذه الطبقة .

ـ على كل حال ... من الجائز انتكون لنا مثل هذه الطبقة فنحن نرى مظاهر بروزها على قلتها والمؤسف في الأمر انه مامن طبقة تنشأ تحت ظروف خاصة الا وتأتي بما لم يكن في الحسبان من المساوىء ...

ـ اني اشعر بالجفاف ، فمع ان الغبار قد خف قليلاً فما زلت ضيقة الصدر ! أتدري انني فكرت ليلة امس ... طوال هزيعها الاول في الشقاء الذي تعانيه وفي هذه الرهافة التي تأكل سعادتك وراحتك ...

ان معضلة الادباء انهم مخلصون لافكارهم اكثر مما يسمح به منطق الحياة ومنطق الاحداث انهم يحاولون باخلاص عميق وحمية ان يضعوا

الاشياء الرديئة والبالية في اطاراتهم الجديدة المعقمة ... انهم يحاولون تطبيق المثاليات الرفيعة على الوقائع المهترئة . . . على المطامع والخسة والخداع والرذيلة ... وتثقل عليهم كفة الميزان فيتألمون ... يقعون صرعى !..

كل الادباء المخلصون في العالم هم كذلك والغريب انهم يبشرون بآراء العلماء الذين يضعون الجديد بهدوء امام المجتمع ويحاولون التواري تاركين عبء التبشير بها للادباء ... للمشاركين من حملة المشاعل التي لا تنطفىء في مجتمع يضيق بها حتى تتقد غيرها في المجتمع نفسه الذي ضاق بها ذرعاً ...

ـ افهم من هذا يا سيمون العزيزة ان الأدب عامل جوهري في تطوير الاشياء وفي ابراز الحقائق وفي مصادرة ما هو سيء ومعرقل ...

ـ هذا انبل ما يحمل الادباء ... غير ان بعضهم حين يقع مرة يقف ليتابع السير بينما ينهض غيره ليعود القهقرى ... او ليقف حيث وقع !..

ـ جميل منك يا سيمون ان تقولي كل هذه الحقائق التي تلقي ضوءاً على البشاعة التي أشعر بها وعلى البؤس المقيم الذي احاول منازلته بيدين فارغتين وظهر دون حماية !..

ـ وماذا يضرك ؟!. حاول ان تتخلى عن الكتابة وعن ايمانك بالاشياء والقيم التي يتنكر لها بعض الناس !.. حاول وستجد كم هو صعب ودنيء ما يعقب ذلك ...

ـ عاد البلبل الكبير الى عشه وعاد يصفر بصوت ملؤه العذوبة ... انه هذه المرة شجي ياسيدتي ... فلابد ان بلبلنا هذه المرة حزين ، ربما وقع في غرام جديد ... ربما فقد انثاه ... ربما قطفت يد آثمة وردة لم يشبع من

رؤيتها ورحيقها !..

ـ دعنا اذن نصغي بعض الوقت الى شدوه الحزين ... الى هذه الترديدة الشجية ... فالبلبل صديق المرأة العاشقة وصديق الشاعر الحزين !..

اليوم الثاني

— ٢ —

- ها انذا امامك من جديد ياسيدتي العزيزة اذ لم اجد ما اقتل به الوقت سوى الحديث اليك او التحدث معك . . . واني لا تساءل كم تكون الحياة قاتمة وتافهة لولا وسيلة التفاهم بين الناس وبث النجوى وابانة الشكوى ! . .

- انى ارحب بك يا صديقي كما تعهد فانا الاخرى يطيب لي ان اعرف جانباً من مشاغلك . . . من البؤس الفكري الذي يلف عواطفك والسعادة التي يمكن للحياة ان تعطيها لمن لايناقش تناقضاتها السخيفة ! . .

- اشكرك كثيراً يا سيمون العزيزة قصارى ما عندي ان اقول انها لنعمة ان يجد المرأة وسيلة يتحدث بها الى احد او الى نفسه او الى قارىء لبيب او عاشق محزون . . وهكذا ترين من هذا انني الوذ بهذه الغرفة حيث تقيمين منذ شهور متفائلة مبتسمة وربما ساخرة باشياء كثيرة مما تزخر به آمال الآخرين ولا اعيب هذا عليك فان من اسباب النجاح ان يكون المرء حازماً مع الاحداث وان يسخر من المتاعب ما وسعه ذلك . . .

- اردت ان اسأل قبل هذه الاستطرادات التي يزخر بها قلبك ، كيف قضيت هذه الساعات وحيداً في البيت ؟ . .

ـ هذا لطيف منك يا سيمون العزيزة ، لقد فكروا بالمجاعة التي عصفت بي أمس فتركوا لي ما يؤكل لذلك وبالغباء الانساني وعقوقه لم ازر غرفة الدجاج او قنه اذ لم اكن بحاجة الى استجداء بيضة . . . اكلت وشربت وتعتعت نفسي بما يمكن ان يتيسر في يوم عيد ثم فكرت وقرأت طرفاً من الاخبار وطائفة من شعر الجواهري العظيم وانتهيت الى اننا من جديد قوم تعصف بهم الانانية وتسد المصالح الشخصية مسالك الفهم والعدالة امامهم ! .

اتعرفين الشاعر الجواهري يا سيمون العزيزة ! . ؟ انه واحد من الافذاذ وانه لشيء لا يمكن ان يكون له نظير في جيله وربما في اجيال قادمة بعيدة اخرى واقصى ما استطيع القول عنه انه شاعر قمة ، شـــاعر اعالي مشرقة لم نصل اليها بعد . . .

وبالمناسبة ياسيدتي ـ وانت تحبين الشعر والقصة والأدب ، استوقفني قبل اسبوع احد معارفي في الطريق وقال معاتباً لم تقل شيئاً في ذكرى الرصافي ! . . والرصافي شاعر الفحولة والرجولة والشمم وقد قتله الاهمال والمناؤة غير النبيلة ومحاولة اذلاله من قبل الاجراء المعروفين في عهد الملكية المنـــدثرة . . .

قال الرجل ـ لم تكتب شيئاً عن الرصافي العظيم في ذكراه . . . ولم يقل سواك عنه سوى القليل ترى ما الذي اعتراكم ؟ ! .

فكرت هنيهة يا سيمون العزيزة ثم قلت وماجدوى الكتابة في ذكرى رجل ذهب مغموماً ومات مهموماً . . . ولم يترك عقباً يفخرون بما يكتب عن راحلهم ! ؟ .

وانها بعد ذلك لمهزلة الجهلاء ان يهمل الفطاحل من رجال الفكر

والشعر في حياتهم ثم تقام قيامة الاخرين من الاحياء لتمجيدهم وهم في الأرماس ! . . وسألت الرجل العاتب بدوري وبي حنق . . . « لم نفعل شيئاً في ذكرى الرصافي ولكن ماذا صنعنا للجواهري ! ؟ . بل ماذا صنعوا به طوال هذه الاعوام الشاحبة ! . . ماذا صنعوا برجل همه انه احب وطنه بطريقة سليمة وانسانية وسخر شعره للانسان ، للفرد العادي ، لحريته وخبزه وطفله وسكنه ! ! . »

فمن هذا ترين يا سيدتي اننا تقليديون وتعساء لا نفكر بحرية . . . ولا نتأمل الا المصالح الوقتية ، وكأن الشعر فطيرة عليها دبس يجب ان يصد عنها الناس حين تجف ! . .

الويل للأدب في أي بلاد لاتتسع للخير والمروءة ولا تعصف بها الا سموم الجشع ورياح العداوة والانانية . . .

ـ اشكرك يا صديقي فقد عرفتني ببعض شعراء بلادك . . . عدى أن المسألة الحيوية في نظري ان الناس لا يقرأون الشعر الا اذا كان ذا غاية تخدم مصلحة معينة . . . فان الشعر كغيره تحول الى بضاعة كمالية لا يمكن ان تستهلك الا في ظروف الرخاء . . . اي في وجدان الحرية والشبع . . .

ـ هذا مفهوم خاطيء بعض الشيء يا سيمون لان هذا يجعل الشعر وسيلة غنائية او ترفاً في حين انه مجد حقيقي لنضال الانسان في مراحل كفاحه . . . قد يكون الامر مختلفاً بعض الشيء مع ما لديك من افكار لان الشعر عندكم غناء روحي وغزل وتوله اما عندنا ومنذ القدم فرسالة الشجاعة والايثار والتضحية . . . وعندي في هذا المجال كثير مما يمكن ان يقال .

ـ دعنا من هذا ... وماذا قرأت ايضاً ؟..

ـ لم أقرأ شـــيئاً يذكر ، تجولت في الحديقة ومررت تحت بعض الاغصان وخرجت في النهاية وكتفي يعلوه التراب ورأسـي تحت طبقة من الغبار ذلك انني لم اكن لاحتك في طريقي بشجرة او غصن حتى ينفض ما علق به من غبار ...

وقد ذكرني هذا ببعض من اعرف من ناس هذه الايام المسكينة ... فأنت لا تكاد تتعرف عليهم حتى يصبوا عليك ما فيهم من وساخة في محاولة ليكونوا اعلى منك طبقة في الوظيفة او في المنزلة الاجتماعية او في طريقـــة الحصول على اسباب الحياة !

ـ مع تقديري لهذه الملاحظات الاساسية يا صديقي فانه لمن المفيد ان تعرف انك في مجتمع قليل الخبرة في مدارج تقدمه ... فان جميع المجتمعات التي تتطور تكون هكذا في البداية !..

تكون متآكلة متحمســـة لذواتها ولافرادها متباعدة عما تراه مجيداً وجديراً بالاحترام من تقاليد المجتمعات الاخرى ، الاكثر نضجاً ...

ـ اذا كان هذا حقاً فانه لمن الطبيعي ان نتساءل لم تلك المجتمعات هكذا يا ترى !؟.

ـ الأمر بســـيط وواضح يا صديقي ، ففي المجتمعات التي تعطى ـ لظروف خاصة ـ سوانح للارتقاء والتقدم ، تكون الوسيلة الاولى للتفوق ، الحصول على المراكز الرفيعة والحصول على المال بشتى الطرق وغض الطرف عن مأتاه ... ولندع هذا ايضاً هل انت متعب !... انني لأشعر كأن عالماً خاصاً بي يفرش نفسه تحت قدمي ...

ـ اذن فقد قضيت ســـاعات ممتعة بعيداً عن غرفتي ولابد انك

صنعت شيئاً !!.

- بالطبع ... حاولت ان اجد غوايات او غيات جديدة لنفسي ، بعثرت صوري القديمة وقرأت مذكرات تركتها منذ اعوام وجلست قبالة التلفزيون وشهدت طرفاً من فلم سخيف كالعادة ثم هجرت كل ذلك وعدت الى الحديقة ابحث عن عش البلبل الذي قطع افكاري في جلسة الصباح فلم أجد له اثراً ...

واخيراً ادرت الراديو وسمعت ضجيج العالم حيث الارتباك والقسوة والانحدارات الفظيعة نحو هاوية الحرب ، والامتدادات البشعة للجرائم القائمة وفق قواعد القانون الدولي والشهامة العالمية ! . . وهي اشياء مزعجة كالعادة ومليئة بالشجون . . . بل ومرعبة الى حد مؤسف .

- يا للأسى لكل ما يقع يا صديقي !..

- انت على حق في حزنك يا سيمون معي على ما سمعت فان أشد انواع البربرية لاتزال تعصف بالبشرية في كل مكان والاوغادالذين يملكون زمام العدوان يمعنون في انزال الاضرار بالابرياء !..

ان مجازر انكولا في افريقيا صورة لأبشع ما عرفت الانسانية من بشاعات ... فليس الفرنسيون الذين يحرقون القرى الجزائرية بابطالها واطفالها وشيوخها هم وحدهم الوحوش المدججة بالنار والموت . . فان البرتغال التي يلعب بمصيرها عجوز اهوج منذ ثلاثين سنة تقوم هي الاخرى بمجازرها الخاصة فاذا كان عجوز البرتغال قد عجز عن انتاج القنبلة الذرية مثل فرنسا فهو غير عاجز عن اقامة مجازر كالمجازر الفرنسية في الجزائر ...

لقد سمع العالم كله ما تصنع البرتغال المتوحشة المنطلقة من اوربا ...

ماذا تصنع بالابرياء الاحرار من سكان انكولا .. وكيف تحطمهم وتحرقهم وتبيدهم والعالم يسمع والبرقيات تترى ... والصور تظهر في بعض الصحف واجهزة التلفزيون ! ثم ماذا ...

ـ يا للوحشية والطمع ... لكم انا حزينة لما سمعت منك !

ـ ومع احترامي لك وانت معي طوال هذه الجلسات المسلية فان بني قومك ليسوا اقل وحشية من قتلة الافريقيين ... ليسوا اقل وضاعة من جنود البرتغال ... فان الزنوج في الاباما يقاسون اليوم من اضطهاد بيضكم الكرماء النجباء ما يعز على الوصف ويجعل المرء يذوب خجلاً امام انسانيته اذا كانت له ذرة من الانسانية !.

لقد قرأت بذهول واسف ما انزله البيض من الامريكان بالزنوج من مواطنيهم . . فلقد صبوا البترول على زنجي واشعلوا فيه النيران !..

ـ اهكذا بالله عليك . . . كيف يمكن ان يصدق المرء شيئاً كهذا ؟ ..

ـ ولكن هذا وقع يا سيدتي ومن الجائز إن يقع ما هو اسوأ منه !

ويبدو لي من هذا ان امريكا تتقدم باطراد في كل الميادين فما دامت قد ارسلت رجلا الى الفضاء الخارجي فلا بد لها ان تتقدم في حقول التعذيب والاضطهاد وتظهر تفوقها الوحشي أيضاً . . فقديماً اي قبل ان ترسل امريكا رجلها الاول الى الفضاء الخارجي كانت تشنق الزنوج على اعمدة التلفون وجذوع الشجر اما وقد تقدمت في حقل الصواريخ بعض الشيء فان تلك الطريقة اصبحت سقيمة وبائسة . . . ولا بد من تطويرها . . .

ـ وتلك هي البربرية ! . .

ـ ابداً ، ان كل منصف يجب ان يجد لما يقع صفة جديدة ترتفع

الى مستوى تلك الوحشية اني آسف يا سيدتي ولكن الامريكيين والاوربيين يقومون هذه الايام باعمال يتندى لها الجبين ويشعر الرجل الكريم منها بخجل ما بعده من خجل ! !

ـ لست اود الاطالة في هذه الامور كما اني لا الومك على اندفاعك .. ولكن عزاء الانسانية انها اليوم في طريق الانتصار . . . انها تحارب بقوة في خنادق اعدائها الاخيرة وهي قادرة على ان تخرجهم من تلك الخنادق او أن تدفنهم فيها . . .

واذا كان اعداء الشعوب قد استطاعوا ان يلعبوا بمصائر الشعوب فيما مضى فلن يكتب لهم النجاح في عدوانهم الى النهاية لان البشرية مشرفة بحق على عصر جديد . . . عصر الانسان . الانسان عصر السلم والصداقة والحرية والابـــداع . . .

ـ شكراً يا سيمون . . . ولكن الست كثيرة التفاؤل ؟ . . ان الامور ليست من البساطة بالشكل الذي تصفين . . .

ـ قد يكون الحق معك لاول وهلة ولكن لو اغمضت عينيك وفكرت بما حواليك لعرفت لماذا انا متفائلة هكذا . . . ولماذا انا سعيدة رغم كل هذه المزعجات ! .

اليوم الثالث

— ١ —

هو ذا صباح ثالث من أيام العيد والسماء صافية ونفسي مترعة بشيء غريب من الابتهاج وكأنها مقبلة على عيد حقيقي لا تعاسة فيه . . بل وكأنني في اليوم الاول من عيد خاص بي . . . انا الذي لم اعد اكترث بالاعياد الا بقدر ما تحقق للانسانية من صداقة ومسرة !

ـ ايه ، صباح الخير يا سيدتي سيمون فلقد عدت تواً من رش الحديقة وسقي الازهار الناعمة التي كانت غارقة في التراب والوحل . . . فالجو الرائق بعث بي شيئاً من الأمل من ان السماء ستبقى صاحية .

ـ يبدو عليك التعب يا صديقي . . .

ـ ذلك انني كبرت يا سيدتي . . . والطبيعة تأخذ مجراها اما نحن الذين نكابر ونحاول الوقوف حيث نشتهي لا نقبض الا على حفنات من ريح . . . او حفنات من رماد سنواتنا الغابرة . . . على ان في التعب لذة ولذتي الآن وانا انظر اليك عبر هذه النافذة ، هي هذه الخضرة الفواحة والاوراق المبللة تلمع في ضوء شمس ساطعة صافية . . .

ـ طوال ليلة أمس وانت تغادرني متقلص الاسارير فكرت بما كنت تتألم من اجله . . . فكرت بالتمييز العنصري وبالاضطهاد الذي ينزل

بالافريقيين ولقد اسفت حين لم تذكر حكومة جنوبي افريقيا . . . مع انها مركز العبودية للرجل الاسود . . . للأفريقي التعس !

- شكراً لهذه الافكار والتذكرات النبيلة فان الأمر على جانب من الاهمية ان نذكر حكومة جنوبي افريقية العنصرية الى جانب الهمج الاخرين من البيض المستوطنين افريقية والسالبين لخيراتها ومواردها الغنية !

ان حكومة جنوبي افريقية ليست حكومة عنصرية سخيفة وحسب بل انها مثل من امثلة العار الاوربي الابيض المنحدر الى افريقية كالوباء يحمل غطرسة دموية وجشعاً ليس اوسخ منه . .

- عجيب امر هؤلاء الناس الذين يميزون بين البشر من بشرتهم ! .. لا بد انهم على جانب كبير من الحماقة !

- بلا ريب يا سيدتي ففي السنوات التي عشتها في الريف لم اجد اي تمييز عنصري بين الحيوانات فلقد رأيت الثور الأسود الى جانب الثور الأبيض . . . والبقرة البيضاء الى جانب السوداء . . والحمار الأبيض الى جانب الأسود فالقطط والكلاب تعيش عيشة نستطيع ان نسميها « انسانية » بينما تعيش حفنات من المستبدين والمغرورين عيشة حيوانية خاصة بعد ان نزهنا الحيوان من تلك الرذيلة التي يتصف بها هؤلاء الجهلاء السخفاء بمعنى الكلمة . . . اني اتساءل بحرارة وانت سيدة مهذبة : لمن هي افريقية ؟ . لمن كانت ؟ ومن هم اهلها . . وهل للبيض فيها مكان ؟ . .

واستطيع ان اجيب عنك اذا كنت مترددة ان افريقية للأفريقيين لانها ملكهم وتراثهم ووطنهم ومنشأ حياتهم . . . وقد كانت لهم لانهم وجدوا عليها وهم اهلها عبر تاريخ الحياة الانسانية اما البيض فلم يكونوا اكثر من مشردين

جوعانين وحيارى حين وطأت اقدامهم الشريرة تراب افريقية . . . كانوا تجار عاج وبهار وجلود ثم تحولوا شيئاً فشيئاً الى وحوش كاسرة فصاروا تجار رقيق وتوارثوا هذا الشر الحقير جيلاً بعد جيل الى ان تحررت الانسانية من هذا العار ولكن اذهان البيض الوسخة في افريقية ظلت على وساختها ... لم تتحرر ولم تؤمن بأن عصر الرق قد انتهى . . . لقد تمسكوا بجذورهم العميقة المتعفنة في افريقية . . .

وتشبثوا بحفنات من الاشرار ، من عسكريين وحملة خناجر وطردوا الافريقيين الى الوراء شيئاً فشيئاً . . .

ـ انه لعار اشعر بقسطي منه . . .

ـ هذه دلالة الانسانية المجيدة يا سيدتي سيمون ولكن الحياة وهي تطور نفسها وتبعث الأمل في نفوس ابناء افريقية لا بد ان تطرد البيض وتعيدهم من حيث اتوا . . . فان روح التمييز العنصري والوقاحة البيضاء قد اولدت حركة معاكسة فيها التمييز نفسه واني لواثق انه سيأتي اليوم الذي يستنكف فيه الأسود ان يصافح وغداً من البيض في افريقية ! . . الا اذا تحرر البيض انفسهم وعاشوا كبشر واصدقاء . . .

ـ ان المشكلة في نظري هي مشكلة الحرية ايضاً ومساندة العالم الاستعماري للاضطهاد وعدم كبح جماح المضطهدين الاشرار . . . فبأسم الاستقلال والسيادة والشؤون الداخلية يسكت العالم الاستعماري على جميع المجازر البربرية التي تقع في انحاء العالم . .

ـ ان الحرية كما عرفنا امس لا تزال كلمة لدى بعض الحكومات الرجعية والاستعمارية وهي اذ تكافح الحرية في بلادها وتدفع شعبها نفسه

نحو الحروب الاستعمارية تسكت على الانظمة المماثلة . . . ان سياستهم الاستعمارية قائمة على قاعدة ، اسكت علي اسكت عليك ! وعندما انتهت الحرب الثانية وانبثقت هيئة الامم المتحدة حسبنا ان شيئاً من الوئام والعدالة سيسودان العلاقات الدولية الى ان خيبت امالنا في اعقاب حوادث متتالية دلتنا على ان اعوام الحرب المريرة لم تعط السادة الحاكمين شيئاً من العبرة والاعتبار . . .

فاعداء الحرية هم اعداء شعوبهم اولاً واعداء الانسانية حيثما كانوا .. فان الحرية هي الحصة الحقيقية من العدالة التي تصيب كل انسان بالتساوي فاذا جرد المواطن من هذه الحرية واقتصر استعمالها والتمتع بها على فئة من الناس لم يبق هناك شيء اسمه عدالة او تقدم او ديمقراطية . .

ـ انك مندفع كالعادة . . . هل انت جائع ايضاً فان المرء يضطرب ويعطي احكاماً صارمة حين تكون معدته خاوية . . . لذلك قيل ان الجندي يحارب بمعدته اي بمعدة مملؤة . . . وحين يجوع الجندي المحارب يخسر الحرب ! . .

ـ شكراً لهذه الملاحظة الموفقة . باعتقادي ان هذا يرد على الشعوب ايضاً ، فالشعب الجائع يخسر حريته الى ان يستبد به الجوع ثم يعود شعباً له الخبز والعمل والمجد لان له الحرية ! . .

ـ كفى هذا الاندفاع العاطفي وراء كلمات تحتاج كثير من الدقة في فهم اهدافها وما تحمل من معان . . ان الصباح لطيف والشمس عسجدية رائقة غير ان الضجة قامت قبل قليل في البيت . . . فعلى ماذا كان ذلك . .

ـ لأسباب تافهة . . . فان المنازعات هذه الأيام جزء من القلق العام

والأسى . . . ان الهموم حين تخرج من البيت مع الخارجين تدخل اليه ايضاً مع الداخلين وان بلواي شخصياً ، انني تركت لاولادي حرية المعتقد تركتهم ينشئون علاقاتهم الحقيقية مع الحياة كما يفهمون . . . وقد اعطتهم الحرية الشخصية في هذه الحدود شعوراً وثيقاً بالذات . . .

ـ وهل انت آسف ؟ . .

ـ الى حد ما . . . فان التناقضات الحادة القائمة في مجتمع حديث التطور تحتاج الى غربلة واعية وتحديد منطقي لما هو طيب ونافع واعتقد ان الاولاد ليسوا على قدر كاف لحماية انفسهم ضد ما لا يمكن ان يستقيم مع موازين الحياة السليمة ! . .

ـ ان هذا الاستطراد الذي جاء في عقب تلك الضجة المنزلية يعطيني فكرة في ان الحياة هذه الأيام تتبلور بشكل مقزز . . بشكل استفزازي للبعض . .

ـ ما من شيء كهذا يعرقل نمو الحياة الديمقراطية لان الانسان خلق ديمقراطياً بالفطرة واذا كانت العصور المظلمة قد حددت هذا الحق وسلبته من بعض الشعوب فان العصر الراهن قادر بكل تأكيد ان يعيد الحرية للشعوب وبالتالي تسترد حريتها من اي جهة تحاول ان تضن بها عليهم . . .

ـ انك بهذا الكلام الذي لا يخلو من الحق تملأني بالتفاؤل في ان الانسان مقبل على حياة سعيدة مملؤة بالاحترام والعمل والراحة والعدالة

ـ ان الديموقراطية الحقة تأتي بكل ذلك ياسيدتي لانها تضع الحقوق والاموال والاعمال بيد الشعوب انفسها ... دون قوامين ... دون سدنة يحجبون الحرية عن الشعوب لانهم ينظرون اليها نظرتهم الى اطفال ذوي

لحى وشوارب !.

ـ لطيف ان يكون الاطفال بلحى وشوارب ... ترى ماذا كانت الحال ستكون عليه لو ان الاطفال ولدوا بلحى ثم فقدوها عند البلوغ كما تفقد الضفدع بعض مظاهرها في مراحل الاستحالة !..

ـ بديهي يا سيدتي سيمون كان الامر يصبح رائعاً وتتخلص الانسانية من شلفات الحلاقة الرديئة ولا تبقى قيمة للشوارب البيضاء المحنكة ...

ـ انك تضحكني حين تتمنى او تصور الشوارب المسكينة هكذا ذات نهاية مفجعة ... كما ان ذلك سيوقع الفنانين في حيرة !.

ـ بداهة ان الشوارب ستبقى عدة أجيال لتعبر عن رجولة الرجال وان كان بعض الرجال قد اصبحوا دون مستوى النساء في كل شيء ... حتى في الزي والالوان والاناقة الانثوية ...

ـ من حق الرجال ان ينعموا ببعض وسائل الترفيه والتسرية عن انفسهم ... وقد أدرك رجالنا في امريكا واوربا هذه الحقيقة ووجدوا ان من حقهم ان يتباروا في جمال الزي والالوان مع النساء وقد كسبوا بذلك كسباً عظيماً وتفتحت لهم قلوب النساء بعد ان ظلت نصف مفتوحة فانا ـ اذا سألت رأيي احب الثياب المزخرفة على اجسام الرجال ، انها على الأقل تكسب خشونتهم شيئاً من الرقة وتكون النتيجة مزيجاً لطيفاً تأنس به المرأة ...

ان هذه الفكرة اذا ما شاعت في الشرق جعلت منا طواويس رعناء ... فنحن الآن بأمس الحاجة الى جلود فيلة ... نحن محاربون ... اننا ما زلنا في مخاضة الدم والنضال ضد اشياء سوداء كثيرة يا سيدتي سيمون ...

ـ عجيب هذا الحماس منك يا صديقي ، وما اثر الثياب على النضال

فان الامريكان الذين يرتدون الثياب الملونة النسائية حاربوا طويلاً في مستنقعات الملايو وفي كوريا فالمهم ان يكون الانسان مواطناً صالحاً ... ان يكون باسلاً وقد كان الاسبارطيون يحاربون وهم عراة الابدان لا يحملون سوى ادوات القتال ... ومع ذلك كانوا من ابسل ما عرفت البشرية وقد غلبوا ودحروا ركبة الفيلة واغرقوا السفن المحملة بالجنود واحرقوا المدن وهم عراة ... حتى انهم لم يكونوا ليأخذوا شيئاً من الغنائم سوى الاسلحة ...

ـ أترين كيف استطعت يا سيمون العزيزة ان تبعديني عن المعضلة الاساسية وما كنا نتحدث به بحيث استطعت ان تجعلي مني شيئاً رخواً مقتنعاً بما تقولين ...

ـ على أي حال فانا كأمرأة عصرية احب الرجال نظيفين انيقين والثياب الملونة النسائية تدنيهم من هذا ... تجعل منهم اسوداً في ثياب لطيفة مغرية

ـ اذا كانت هذه رغبتك فدعيني ابشرك فان الكثيرين من مواطني قد اخذوا بهذه الفكرة منذ سنتين... وانك لو اطللت اطلالة الى الخارج لوجدتهم على أجمل ما تكون عليه الاسود ...

اليوم الثالث

— ٢ —

ـ لا يزال الجو صحواً والنسيم فيه عذوبة وقد عدت متعباً ، تجولت هذه المرة طويلاً وطفت حول كل شجرة ... وشممت الفل قبل ان يدفن عطره في التراب وتأملت الدجاجات يجمعن البيض في قوقأة متصلة ...

وحاولت ان انسى ما في العالم من أحقاد واستعداد للقتال ومن مؤامرات تحاك ومن شعوب تعمل لانقاذ حريتها ... وهكذا نحن يا سيدتي سيمون وقد عاد بعض الاطفال أقل مرحاً لانهم فقدوا او صرفوا جميع ما كان معهم !..

وفكرت بالنقود وبالذمم الرخيصة وباشياء غير هذا ، بكثير من المتناقضات ثم وجدت في نفسي حاجة الى جو آخر ... الى عالم اخضر تغوص فيه احزاني ... الى غابات متصلة وجبال تعانق السحب ... تمنيت لو انني الآن في جبال وطني في بنجوين وسلسلة الجبال المشجرة او السماقية الصخرية او سلسلة غابات قوبي قره داغ ... او في مسالك « طويلة وبياره » او في غابات شقلاوة ، حيث تتدفق الينابيع وتصفق الاشجار ...

ـ هذه هي الذكرى يا صديقي ، انها تقوم احياناً في خيالنا كمهد شاعري يهزنا لنرقد من جديد او نعود الى طفولة هنيئة ...

ـ انك يا سيمون تدركين بغريزة المرأة ذات القلب المتوهج والوطن

البعيد ، عظمة الحنين الى الاماكن والمرابع والحقول التي عشناها ردحاً من الزمن وما زالت تعيش في قلوبنا ...

تمنيت لو انني عدت الى الجبال ... وقد طوق محزمي المشد العريض ودارت حول رأسي مناديل الحرير ... وتحتي جواد لا يعرف الكلل ...

تمنيت ان تحملني سحابة سحرية الى تلك الربوع السخية من بلادي ، وددت لو انني بقيت كردياً قروياً . أمي تصنع اللبن وابي يحرث ارضه الصغيرة واخواتي ينسجن الابسطة الساذجة !

تمنيت في هذه اللحظات المترعة بالحنين الى الماضي والذكريات والحياة الراحلة لو انني لم اعرف ما اعرف الآن ...

ـ ولكنك يا صديقي ، انت الآن أفضل ، انك على الأقل تعرف عيوب مواطنيك ، تعرف علل التأخر والتعاسة ... ان في يدك الآن قلماً تستطيع ان تفجر به ينابيع الخير لبني قومك وتعطيهم شارات حياة سعيدة ...

ـ لو كان هذا في مقدوري .. ولكنني الآن يا سيدتي انسان عجوز متعب ، قلق ومتردد وحزين فلا انا بالقروي الباسل الصابر المحتسب ولا انا بالحضري المحظوظ المؤتمن على افكاره ومثله ! وهذا اشقى ما يشقي الانسان !

ـ اني اعذرك ... لو لم تشعر هذا الشعور لحسبتك منقطعاً عن الحياة ، في حين أراك الآن وسط هذه اللجاجة ، وسط العاصفة المظلمة ... ومع ذلك فانك تستطيع ان تواصل السير ...

ـ ان هذا ياسيدتي يحفزني ، يجعلني واقفاً وانا اترنح ... اصمد وانا في ساعة مزعزعة ! . ولكني مع ذلك ارى ان رائحة الريف في ربوعي

الخضراء تستدعيني ...

فاذا كتب لي ان اعود من جديد فسأعود وحدي ... دون كتب ... دون جرارات ومناضد وكراس واقلام ...

فسأذهب الى هنالك بقلبي وعواطفي ومودتي ... هبيني بعض لطفك يا سيمون العزيزة اننا نحن الذين انحدرنا من الريف او انحدر منها آباؤنا نظل تواقين الى المنحدر ، او الى الاعالي حيث اكواخنا في السهول او المنحدرات وقطعاننا الجائعة تمسح التراب والحسك بافواهها المشققة ..

ـ انك بهذه الصور تملأني بالبؤس حتى اكاد اتفجر انا الاخرى حنيناً الى ربوعك التي تحب ... فدعنا ونحن في ظهيرة عيد ان نواجه المآسي والذكريات الحزينة بالجلد والتأمل والتحدي ... فلسنا تعساء ما دامت كوى النور الأزلي تنحدر الى شعوبنا ... الى اعماق الانسان في اوطاننا ...

فمن خلال الرماد والحرائق وخرائب الحرب تقوم الانسانية لتبنى من جديد حياة نظيفة واذا كانت العسكرية تنتصر في اعقاب الهزائم الكبيرة في الميادين الحربية ، اذا كانت تنتصر على شعوبها كما في بعض بلاد اوربا فانه لنصر قصير مادام ثمرة فجة لجشع الجشعين ...

قم وتأمل ما حواليك ، اطفالك والكتب وما لم تقرأ من اسفار ومالم تر من مدن وامصار وآثار ومعابد ...

ان العالم مترامي الاطراف واذا كانت وسائلنا العصرية جعلت المسافات اقل طولاً فلا تزال البقاع المجهولة المترامية جديرة بالتطلع فكل شيء في العالم يبني حضارة محلية على قدر امكانياته ويضع البوابات الجديدة لميادين العلم والثقافة ويحطم السجون ...

ـ ان هذه الكلمات المجيدة المثقلة بالايمان تجعلني ارى الجانب المضيء من كل شيء ... ومهما كانت الأغلال عالية الرنـــين فهي اغلال تحطمها الشعوب ... ومهما كانت السياط شديدة اللفح والتسويط فانها ستلتوي حول اعناق حملتها والمهددين بها ظهور الناس !..

ـ الضجيج ايضاً من جديد !.. ماذا ترى يقع في حمارة هذه الظهيرة !..

ـ ان الحياة المألوفة تفرض نفسها بالوتيرة المعروفة فالصغار يكبرون وسط عجاجة من الخيبة والمفارقات والاحقاد والجيرة المفككة ... وكل هذا يترك ترسباته الثقيلة لغد نريده اكثر جمالاً واشراقاً وبهجة ... واية محاولة لتنسيق الامور والماجريات ، سيضاعف شعورنا بالأســـف ويعطينا مرارة اضافية ...

وهكذا اشـــعر أحياناً انني غريب حتى في بيتي وانني ضيف طـال ثواؤه .. وآن له ان يرحل ...

ـ وتلك هي الهزيمة من ابســـط تبعات الحياة فنحن احياناً نصنع الانشوطات بدهاء او عدم مبالاة وحين تقع في رقابنـا فجأة لتصرف مخطوء تكون ضيقي الصدر وانهزاميين وغرباء عمن حولنا ...

ـ ان هذه الكلمات المسلية والموبخة معاً هي ترديد لعظات قديمة ... انني اضيق ذرعاً يا سيدتي سيمون بكل ما هو غير عملي ...

ـ وما الذي هو غير عملي يا صديقي !..

ـ غير العملي كل ما لا ينطبق على امانينا وتحول الحوائل المســـتبدة دون ذلك ...

فالامور تتعقد بعض الاحيان دون وجود مبررات سوى سؤ التصرف

او عدم المبالاة او الانانية والاعتداد بالذات فلكي املأ القلم بالحبر مجدداً وبوقت اسرع دفعت المحبرة فانسكبت على المنضدة واتلفت نصف ما كتبت بعناية وحذر ...

ـ العجلة دائماً ... وهذا الاضطراب الذي يلاحق العاطفيين هو الذي يجعلهم اكثر تعاسة من غيرهم حتى وهم في طريق بناء صالح وتدعيم حق مغتصب ذلك انهم في طريق البناء والاصلاح يتركون ثغرات تجعل ما يبنون أقل شموخاً واضعف مقاومة ..

ـ يا سيدتي العزيزة وقد نال مني الأسى والتعب معاً ادرك بسهولة ان الاهداف البعيدة وليدة مسيرة طويلة مبصرة ... وبنت مشاركة عادلة منصفة ...

ومعنى هذا ان الذين يبلغون القمة يجب ان يذكروا الذين آزروهم في المنحدر ودفعوهم او حملوهم في السهل والصعب والمرتقى ...

كان نابليون عظيماً من الناحية الدموية وكان يبني مجداً عسكرياً ليمد سلطانه على اوربا فيما كان يقول انه جاء لانقاذ فرنسا من ثورات داخلية ومضاربات محلية بين القادة والخطباء ... وكانت النتيجة ان فرنسا لم تربح شيئاً بل خسرت حتى ماكان لديها ... ودخل نابليون تاريخ العسكرية الفاتحة كذهنية خصبة شريرة في الابادة والاقراض والاستهتار بحياة الآخرين وآمالهم وزوجاتهم وبناتهم وطموحهم البسيط والانساني !

ـ لم يكن لكل هذه الاستطرادات من محل لو لم تكن عصبياً قلقاً ومتألماً من انسكاب المحبرة وتلوث ما على المنضدة ... ومع ذلك فان هذه الحادثة تعطيك شيئاً من الطفولة فاصابعك الملوثة بالحبر والبقع التي تصبغ

جبينك وبعض وجهك تجعل منك صبياً عاقاً ساخراً ... غير ان هذا يجعلك في نظري اكثر رزانة وخضوعاً للاقدار وتحميلها ما ليس لها فيه من يد ...

ـ هذه الكلمات والتلميحات الخاصة ذات دلالة على شيء ابعد مدى من هذه الصحبة التي بدأت تعتورها الشـــكوك وتحاول ان تدخلها الملالة ايضاً ... واذا كان ولابد من التعريض ببعض ما تحمل افكارنا او ما تجيش في لحظات الانطلاق والشجن فليكن هكذا ... بدعة وزمالة ...

ـ انني لم اسيء اليك كما أرى ... وكلما فعلت انني حاولت ان تجنب لسانك ما لا جدوى فيه غير انك تذكرت نابليون وذكرتني بدورك بغيره ممن سبقوه فان التاريخ مليء بامجاد الفاتحين ورجال الدم والســـفك والقتل والاحراق ... بينما تقبع ذكرى العلماء الاجلاء والفلاسفة النبلاء في زوايا يعلوها التراب ... ولعل من المفيد ان اعطي البشرية بعض الحق فما زالت طريق الحرية مسدودة وما زال فتحها بحاجة الى ابطال والى كراديس من البشر يدفعون البوابات العنيدة عن الطريق ... والمؤسف في الأمر ان الحرية ! لا تكاد تظفر بالحرية !.. حتى تجد لها ســـجانين جدداً واعداء خضارمة يحاولون جرها الى الحضيرة المظلمة من جديد ... خطوة خطوة او دفعة واحدة ...

ـ اشكرك يا سيمون ، ان هذا الشرح الضافي يدل على انك عانيت فترة ما حالة من الانهيار والشعور بالظلم فما تزال نفسك تواقة الى العنف الذي جاء لك بالحرية ... ان القياس الفردي يخطىء احياناً حين يتخـــذ مقياساً لقضايا عامة وكبيرة ومع ذلك فان العهد الذي ستسود فيه الاخوة والرخاء ليس ببعيد ...

ـ ان الانسانية كلها ترقب ذلك اليوم او ذلك العهد يا صديقي الا انه مع ذلك فما تزال الغيوم كثيفة في كل سماء وحسبنا اننا نستطيع هذه الايام ان نجد طريقنا في الارض او في السماء في اكثر الاوقات عاصفة وحلكة ...

فان نبراس البشرية لا ينطفيء ... فما من نفس حاقدة تستطيع ان تطفيء المشاعل التي ترتفع من القلوب والحناجر والضلوع . . .

ـ شكراً جزيلاً ، يبدو لي انني سأمرض حقاً اذا ما بقيت هكذا اكتب ما اسمع وادقق ما اقول وانا في هذه الوحدة التي تقطعها بين الفينة والاخرى ضجة حادة منبعثة من اكثر من مكان دفعة واحدة.. استودعك الله . . .

اليوم الرابع

— ١ —

- هو ذا نهار رابع من العيد والسماء مثقلة بالغبار ، لم يعد لي ما اعمله سوى ان اجلس أو اضطجع او اقلب صحائف لا اقرأ منها شيئاً ...

لقد طفت بالحديقة التي بدت لي مغبرة حتى وكأنها قطعة من الارض كامدة ... ولم يعد بوسعي ان افعل لها شيئاً ...

على انني وانا ساخط ضد هذا الغبار الكثيف الذي يلقى ظلاً ناعماً حاداً وذا رائحة خاصة على جميع الاشـــياء منذ منتصف الليل وجدت لي ما ابرر به هذا الغبار ...

- وما هذا التبرير يا صديقي ؟..

- عفوك يا سيدتي ، نسيت ان احييك تحية الصباح فلقد كان الجو قاتماً حتى لم اعد افرق بين صباح ومساء ... وبين ضوء وظلام .

- قد يقدم لك هذا عذرا ، ثم انني لا استجدي تحية من احد ... انما اردت ان اسألك ما المبرر الذي جعلك ترحب بهذا التراب الخانق ...

- يا سيدتي العزيزة ... ان هذا التراب يقوم بعملية تعفير هامة ... انه يشرب جميع المواطنين تربة الوطن ... فمن كان في ريب من الأمر ... ومن كان ضعيف الايمان بعيداً عن تربة الوطن فان هذه العاصفة الترابية كافية

لتغيير موقفه ... فلقد ملأت صدره بتراب الوطن !..

ـ هذه ملاحظة طيبة ولكن هل الغبار يقوم عندكم لاول مرة ؟..

ـ كلا يا سيدتي فقد كان لنا في الماضي غبار ملكي ايضاً وقد ينعقد أحياناً اشد كثافة وأميل الى الاصفرار ... ويكاد يكون ريحاً صرصراً عاتية !.. على ان صدورنا الآن نظيفة من تربة الملكية وغبارها ولابد ان نستضيف التربة الجديدة ...

ـ ان الروابط الوطنية لا علاقة لها بالغبار فاذا كنت تمزح فهـذا شيء آخر ...

ـ لا امزح في الواقع ، ان لتربة الوطن علاقة بالوطنية ... على ان اوجع ما في الوطنية انها تصبح مصيدة !.. وحين تصبح كذلك وحين تصبح السياسة حرفة تعيش تسؤ الاحوال دون اي ريب ...

ان تجار السياسة موجودون في كل زمان غير ان المحزن ان يكون سوقها مرتبكة ايضاً فلا يستطيع المرء ان يفرق بين اللؤلؤ والخزف فكل الامور من التعقدوالتداخل بحيث تورث المرء كلالة وإعياءاً وضجراً ثم ترك السوق الى البيت دون حمل يذكر .

ـ هكذا هي الامور في كل مكان ومع ذلك فان الشعوب حين تستيقظ تعرف البضاعة الصالحة وتقف دون ملل منتظرة دورها ومفسحة مكاناً للآخرين ...

فكثير من الاشياء في الماضي البعيد والقريب كانت حكراً لطبقات معينة من الشعب فالطب والعسكرية العالية والصيرفة والتجارة وراء البحار كانت من حق الاسر المرموقة ... أهذا واضح ؟..

ـ بالتأكيد يا سيدتي ومفهوم ...

ـ وكانت حصة ابناء الشعوب ، الجندية والفلاحة وخدمة القصور وقيادة كلاب الصيد والركض وراء عربات الامراء لحمايتها او لشق الطريق امامها ... ولكن الانسانية في طريق نضالها الذي لا يكل قد تغلبت على هذا الخزي في كثير من انحاء العالم ... هل هذا مفهوم يا صديقي !!

ـ بالطبع وهذا ما يجعلني القي نظرة الى الوراء كلما شعرت بالتعب وكلما رأيت الانحلال والجور والاثرة وتكالب الرجعية ضد كل ما هو نبيل وطيب ومتقدم ، وحين القى تلك النظرة الى الوراء امتلىء شجاعة اذ ارى موجات لا حد لها من الاضطهاد والسجون وموجات متتالية من الفتوحات والدماء والمعاقل والمعتقلات والاصفاد ...

ثم من خلال كل ذلك أرى الانسان الخالد وحده ... أرى الشعوب... فماذا يهمني من أمر الاسكندر والقيصر ويوليوس وكسرى وانطونيو وانا أرى شعوبهم ... ارى البشرية لم تمت !..

وعبر تلال من الضحايا والاشلاء والاعناق المفسخة والروؤس المجمدة والفارغة والعبقرية تسير الانسانية بموكب لا يعرف التقهقر ... وهذا كلما اردت ان اوضحه .

ـ لتشجيع نفسك !..

ـ ربما ياسيدتي ، فليس عيباً ان يغني المرء حين يسير في ليل مدلهم ... او يسري عن اخوانه ورفقاء طريقه !..

ـ لا اعيب هذا ... قل لي هل ان التاريخ افادك شيئاً وانت تتعكز على وقائع التاريخ واحداثه !

ـ افادني ببعض وقائعه ... انه على الأقل اعطاني صورة عن مسيرة الانسان ، بطلاً دموياً عاصفاً وقائداً متجبراً ساحقاً ، كلمته القانون وجندياً باسلاً مطيعاً وخادم كهنة وراقصات معابد وجواري ليالي فاجرة عرفت الانسان في التاريخ ... ومع ان التاريخ مليء بالاكاذيب ايضاً وبالاساطير وبكل ما لا يقبله عقل فانه لنافع ان نلقي عليه نظرة فنتذكر من سبقونا ، من ابطال وصعاليك وشعراء ومجانين وأفاقين وصانعي أغلال ومحطمي اغلال !

ـ ان أفضل العقلاء هو ذلك الذي اجمل تاريخ البشرية بهذه الكلمات « جاءوا فتعذبوا وعادوا ... » فمامن شيء وراء ذلك وحتى انت على ما لديك من حذلقة وقدرة على ايجاد مخارج للمغلقات فلن تستطيع ان تضيف شيئاً على هذا المتن المجمل لكل شيء وكلما تستطيع ان تضيفه لن يكون اكثر من شرح وفضول !

ـ مع احترامي لتلك الحقيقة ـ وموافقتي على صدقها فاني استطيع ان اجعل العبارة ادق حين اقول « جاءوا فناضلوا ، وسادوا وخلدوا . . . » واولئك هم الاناسي . . . هم البشرية ـ الصالحة ففي الماضي في عهود الغطرسة وضيعة الانسان كان ما قلت آنفاً يصح فالصحيح ان الناس كانوا يأتون الى حياة جائرة السنن ومنكدة فيتعذبون ويشقون ونادراً ما يسعدون ثم يذهبون . . .

اما الآن فلا تكاد تستوي قاماتهم حتى يدخلوا سوح النضال ابطالاً فاذا سادوا وظفروا خلدوا احفادهم ومعهم حياة رغيدة وديمقراطية رائعة ! . .

ـ ما زلت ، بين كل عبارة واخرى تذكر الديمقراطية كالذي يشتهى اكلة اثيرة لذيذة بين لقمة واخرى . . .

ـ ذلك يا سيدتي ان الديمقراطية رأس مكاسب الانسان واثمن ما ورث او يجب ان يرث من متاع الفكر والحياة . . . وما الحرية التي يموت في سبيلها الألوف الا بنت الديمقراطية . . ولا استطيع ان اؤمن بالعكس فأجعل الديموقراطية بنت الحرية ... فالديمقراطية نظاماً هي اسلوب الحياة الكريمة التي تعتبر الحرية جزءاً وحقاً من حقوق الفرد لا يمكن ان ينال احد منها شيئاً الا اذا كان طاغية ولم تكترث الانسانية كثيراً بالطغاة ما دامت اعمارهم اقصر من اعمار الشعوب . .

ـ ولكن الديمقراطية تصبح احياناً دثاراً ومضلة لاجراء تخريبات ضد مصلحة الاكثرية . . .

ـ تكون الديمقراطية كذلك حين تصبح اسماً لا نظام حكم ولا طريقة ادارة ولا رغبة شعب ! وانني بالطبع يا سيدتي لا اتكلم عن الشذوذ والضلال والتنويم والاستبداد . . .

ـ اوافقك في هذا واضيف شيئاً واحداً هو ان الديمقراطية تتكيف حسب البيئة احياناً . . .

ـ ولكنها اذا ما عدمت اسسها ومزاياها الاصيلة تكون قد غدت قشرة او فخاً . . . فزرع بذرة غريبة في ارض جديدة لا يفقدها كل مزاياها .

ـ وما دمت قد ضربت مثلا فان بعض البذور ليست صالحة لكل تربة . بعضها لا ينبت ولا يستطيع ان يشق طبقة خفيفة من التراب . . .

ـ مع انني ضربت مثلاً عاطلاً وسيئاً لا يمكن ان يتخذ مقارنة فأن

هناك بذوراً صالحة لكل تربة . . . والديمقراطية واحدة منها . . . ثم ان تربة الديمقراطية هو القلب والرغبة والشوق الملح للعدالة . . . وما من انسان لا يتوق الى مثل هذا فلا تقولي يا عزيزتي ان الديمقراطية قد لا تكون صالحة لتربة ما . . . فهذه اعذار دكتاتورية وذرائع الذين لا يريدون ان يسمعوا رأياً من سواهم او مجدا من غيرهم او خدمة ظاهرة من الآخرين ..

ـ احب هذا التسلسل المنطقي والهاديء بعض الشـــيء الا انه مما ليس فيه مراء ان هذا الجدل يقودنا الى تعقدات قد لا يمكن الخروج منها دون بلوى ! . .

ـ انا معك في هذا يا سيدتي ... ولكني ازاء ذلك اذكر ان من الراحة للانسان ان يقع فيما يخشى منه فالوقوع في البلوى احياناً اخف من الخوف من الوقوع فيها ...

ـ ما زال الغبار كثيفاً مع اننا عند الظهيرة ! فاذا لم يزل الغبار يكون العيد قد ودع الاطفال ساخطاً وتركهم ساخطين ...

يا للأسف . .

ـ وعلى م الاسف يا صديقي ؟ . .

ـ على فقدان عطلة وجدت فيها بعض ما يعطي الفراغ من سعة في التفكير ومحاكمة عادلة للقضايا الحادة . . .

ـ اتحب الدعة الى هذا الحد ؟ . .

ـ اني رجل متعب ، وموضوع في غير محله وما من شيء يرهق الأديب كهذا الشعور . . .

ـ ايضايقك العمل ؟ . .

ـ تضايقني الطريقة السـقيمة في العمل . . . التناقضات والصغائر والمفارقات وأحيـاناً المنغصات وانتصار قوى الشر وتفوق الكذب والملق والرياء . . .

فلو اتيح لي ان استريح كريماً دون عوز لتركت هذه المدينة وانسحبت الى الوراء . . . الى الجبال . . . في بقعة نائية من وطني لاكتب ما يعن لي هناك بلغة جديدة وتفكير جديد . . .

ـ كلنا نشعر احياناً بمثل هذه الحاجة على ان المرء لا يستطيع ان يترك ميدان المعركة وهو باسل وما زال فيه رمق . . .

ـ شكراً يا صديقي العزيزة . . والى اللقاء .

اليوم الرابع

— ٢ —

ـ مساء الخير يا سيمون . . ها انذا اعود من جديد وربما لأودعك فقد انتهت أيام الكسل والراحة والبساطة ! . .

ـ اهلاً بك ، اني كما تعهد اعرف الناس ، يودعون ما يشتهون مكرهين . . . ومع انني لست سالية عنك فاني لسعيدة ان اراك تدب في الحياة وتشق طريقك في فجاجها الوعرة ثم تترك الدار فلا تأوي اليها الا متعباً وبعد عناء ! . .

ـ اني لا استطيع الاستغناء عنك يا سيمون غير ان الايام وهي ملحفة كالحة تفرض علينا ما تملي وتريد ! . . فالعصر الراهن المليء بالتناقضات والمزعجات وانظمة الحكم البدائية السائدة في معظم انحاء العالم لا تترك لنا مجالاً للحرية بحيث نستطيع تخطيط ايامنا وعطلنا ووسائل عيشنا .

ـ ربما سيأتي يوم افضل على البشرية تستطيع فيه ان تجعل الناس سعداء . . . دورهم هائئة واطفالهم اصحاء سعداء والى ان يأتي ذلك اليوم ستبقى الاسلاك الشائكة والأسوار العالية والسجون المظلمة تهدد كل من يطمع بشيء من السعادة او العدالة !

ـ شكراً يا سيمون . . . انني احب الفن لانه يجعل من الفنان الحقيقي

آدمياً نبيلاً وشيئاً ذا قيمة في التطور ، اما الذين يحسبون على الفنون فهم كغيرهم في كل الحقول . . . توافه وعفن ! . . اشياء يسلطها الاعوجاج وتبعث فيها الريبة قوة مجهولة للتخريب وتسميم ما هو طيب ونظيف ! واعتقد في هذا القول الذي انا صادق فيه امس جزءاً من عملك او من حياتك لان عمل الفنان الحقيقي هو حياته . . . وكل دقيقة من حياة الفنان عمل ابداعي ونضال حاد لا يعرف الهوادة ! . .

ـ اشكرك على هذه الكلمات ، انك حين تتحدث عن الفن في اخريات هذه العطلة التي قضيناها بصحبة طيبة انما تحاول ان تخرج بشيء ذي فائدة من كل هذا الكلام المستمر . . !

ـ ذلك ان الحقيقة يا سيدتي تكمن في الفن ، لان الفن هو الحكم الانساني الصائب وبأصالة الى حقائق الاشـــياء . . . ومن اجل هذا يقاوم الفن بضراوة حيث تنعدم العدالة وحيث تصبح القيود سيدة الاحكام ! . .

ان الغبار الكثيف يملأ صدري فأشعر أن العيد كان غاضباً ولا ادري لماذا ؟ . . على انني وقد نعمت في بعض سويعاته معك اجدني غير خاســـر . . .

فما من شيء في هذه الايام يمكن ان يعد مضاعاً لان من يفقد شيئاً عزيزا هاماً يهون عليه فقد ما سواه . . .

ـ هذا تقرير لطيف وحقيقي يا صديقي ، غير ان العيد وقد اوشك ان يودعنا هو تصوير لرغبة الانسان في ان يخلق لنفسه فرصاً لراحة البال ولتحقيق آمال جميلة هو في طريقه اليها . . . ومع ذلك فالظاهر ان اعيادنا اكثر حرارة وحيوية . . .

ـ ذلك لان حياتكم كذلك يا سيمون فانتم تحاولون في الاعياد ان تجعلوا ايامكم ايام سعادة وراحة . . . اي انكم تتخلون عن احقادكم وبؤسكم وهمومكم الطارئة . . .

ـ ولم لا تفعلون الشيء نفسه ؟ . . .

ـ لانه يا سيمون العزيزة ينقصنا التنظيم ! . أي ينقصنا جوهر كل شيء ! . . .

فان العنف شيء مترسب في حياتنا لا نستطيع ان نتخلى عنه بصورة من الصور وانه لمن المؤسف ان نكون جميعاً كذلك فان أيام الهوان والرق والظلم جعل الكثير من قيمنا الاخلاقية خاضعة لظروف احكام يفرضها الاقوياء دائماً . . . ومن البديهي ان الذين شفوا وتعذبوا وتشردوا ، لهم قابلية خاصة على التكييف . . . انهم يرون في المرونة قوة البقاء وقد كسبوا هذا الايمان من كثرة الشواهد التي اصطدموا بها في عهود الاستبداد ...

ـ طيب ، اني اسلم بهذا ولكنكم تستطيعون ان تنسوا متاعبكم في بيوتكم عن طريق التخفيف من الاحتكاك بالآخرين ماداموا هم سبب المضايقة والحزن ...

ـ هذه حقيقة صائبة يا سيمون العزيزة غير أن المشقة في ادراكنا لعللنا ... اننا صعبون في التصلب على ما نراه الى جانبنا وان كان في ذلك مضرة الآخرين ... بعبارة اخرى اننا انانيون والانانية ضعف والايثار هو القوة ومشاركة الآخرين في المأساة والبلوى والمصير هي الروعة والقوة ... ولكن قصر النظر يجعل اكثرنا عديمي فهم لمثل هذه الحقائق .؟.

ثم ان مشكلتنا في كل مكان ، ان حب الذات يبرز كسد من الصوان

يحول دون اي تقدم حقيقي او اية فكرة فيها نجاح وتقدم لمجرد ان ذلك يتطلب بعض العمل وربما يتطلب شـــيئاً من التضحية ... ألا ترين هــذا صحيحاً يا سيدتي ؟..

ـ الى حد ما يا صديقي ... فان مثل هذه الاحكام لا يمكن ان تقف بمستوى المسلمات ... والآراء التي تتناول مشـــاكل المجتمعات ، والشرقية خاصة اكثر دقة او تعقيداً فهي تحتاج لذلك الى كثير من الغربلة والى كثير من المناقشة ...

ثم ما انت وكل هذه الاشياء ، ان من مثلك في هذه الايام يكسبون الكثير ومع انهم لم يكونوا في مقدمة القافلة فانهم لينالوا بدهاء ـ حصة الرواد الذين يتقدمون المخاطر ...

حســـبك ان تري من حولك ... تأمل وادرس وافهم طريقة الحياة المثلى في نظرهم !..

ـ اني لا اؤمن يا سيمون بمقاييسهم بل ان مجرد التفكير بالاخذ بها يلقى على رأسي وعاءاً من صابون لذق ...

ـ اذا كان الأمر كذلك فيجب الا يبقى هناك محل للشكوى ان الظروف ـ ليست غير تصرفات فئات تعرف كيف تصنعها لتصل حياة معينة تتوق اليها ومن لا يسير في ركابها او لتحقيق ما ينشد اولئك الذين خلفوا ظروفاً خاصة لنجاحهم ـ يدفعهم التيار الجارف ! ـ

ـ هذه حصافة غير منتظرة فمن يصنع ظروف الفيضان ؟؟.. ومن يهيء ظروف انشاء السدود ؟

ـ العقل والطبيعة يا سيدي !..

وهنا تكاد المشكلة الاساسية التي تعانيها تجد لها مخرجاً ، في الواقع ان الحياة السياسية في البلاد المتحررة حديثاً نوع من الفيضان فما لم تقم السدود فان الفيضان الفكري والوجداني والوطني سيؤدي الى كثير من الخراب ...

- ان هذه العبارة او هذا الرأي يا سيدتي يضع في يد المتغطرسين حجة جديدة ... فالاستبداد يبدأ هكذا ... يبدأ بالسدود ضد الفيضان ولحماية الآخرين ثم تعلو السدود وتعلو وتزداد علواً مع ان الفيضان يكون قد انتهى منذ زمن طويل ...

- ربما هذا صحيح من وجهة نظر رواد الحرية الذين يجعلون الكرامة الانسانية في مقدمة الاشياء ويؤرجون لها عبقاً لا مناص من الافلات منه والموت من أجل الحصول عليه .. ولكن الانسانية مادامت قادرة على هدم السدود فلا جدوى في اقامتها ... فالسدود التي تقام في بعض انحاء العالم انما تقام على حساب المدارس والمعرفة والهناءة !..

- بعض الاحيان ! . .

- اجل بعض الاحيان يضطر بعض القادة الى استبدال المعلمين بالسجانين . . . فلكي تقام مدرسة يجب ان يهدم سجن ولا يمكن ان تهدم السجون وتفرغ مالم يتم اصلاح المواطنين . . . وتزكية اعمالهم الصائبة . . .

- يتطلب هذا يا سيدتي انظمة عادلة وحياة ديمقراطية سليمة . . .

- يعني هذا اننا سنعود من حيث بدأنا نعود الى مبدأ سيادة القانون . . . لكن سيادة القانون يجب ان تكون لحماية قوانين او مبادىء عادلة يرتضي بها الشعب اي شعب له مثل تلك الظروف يا صديقي . .

- ان الغبار ما زال كثيفاً ، ابدو كأنني احاول الهرب من امامك ، لست منطقياً في جميع الاوقات ولا اريد ان اشعر انه من الجميل ان اتخلى عن فهمي لقيمة الحرية والاقتناع بأن ما يقوم به الآخرون هو لمصلحة المجموع ولهدف عام واسع . . .

- انك تحسن صنعاً اذا ما جعلت في نفسك مكاناً لاراء الاخرين وظروفهم . فالحكم ليس لعبة او هواية . . .

- انه تجربة وحنكة يا صديقتي

- وعدالة يا صديقي ! . .

- ولكن من الذي يؤمن العدالة ! . .

- الشعب يا صديقي ، رقابته الحية وبرلمانه وصحافته . . .

- من هنا - اذا ما اردنا الاستمرار تبدأ رؤوس جديدة لمعضلة قديمة ! . . .

- خير لنا ان ندع هذا فعندما ينتهي العيد ستجد الاخرين يتحدثون عن ايامهم وعن بعض افراحهم البسيطة ونادراً ما يكون هناك من قضى عيداً مثلك في بيته يتحدث الى صورة ! . .

- ومع ذلك فلست الا فكرة رائعة . . . ان فيك جميع معطيات الفن يا سيمون وحديثك الطلي جعلنا طوال الساعات التي قضيتها معك من اسعد الناس على ما عانيت من مرارة وما اثارت احاديثنا من بلبلة وشجون !..

- لا تكن انانيا كالآخرين فعما قريب ستغادرني وقليلاً ما تراني في هذه الغرفة شبه المهجورة فدعني اقدم نفسي للقراء . . للذين شقوا وسعدوا ببعض ما قرأوا . . . انني ايها الاصدقاء « جين سيمون » الممثلة الامريكية

لا ادري اذا كنتم قد اعجبتم بادواري التي اصهر بها وجودي . . . لا اعبأ كثيراً بالجمال غير ان رواد افلامي واصدقائي يقولون عني انني جميلة وانيقة ... وصاحبكم واحد من هؤلاء . . . وبشغف صبياني وجدلي صورة ملونة كبيرة علقها في غرفة الضيوف التي تعرضت قبل سنة لغزوة طائشة بالحجارة والطين والسباب . . واصابني من جراء ذلك رشاش مزق طرفاً من شعري اللطيف !!

ارجو الا اكون ثقيلة عليكم فان جين سيمون ممثلة طيبة لا تريد ازعاج احد . . !

استودعكم الله ولصاحبكم ان يقول عني بعد ذلك ما يشاء ! .

0415

PB-35787-A
5-04
cc

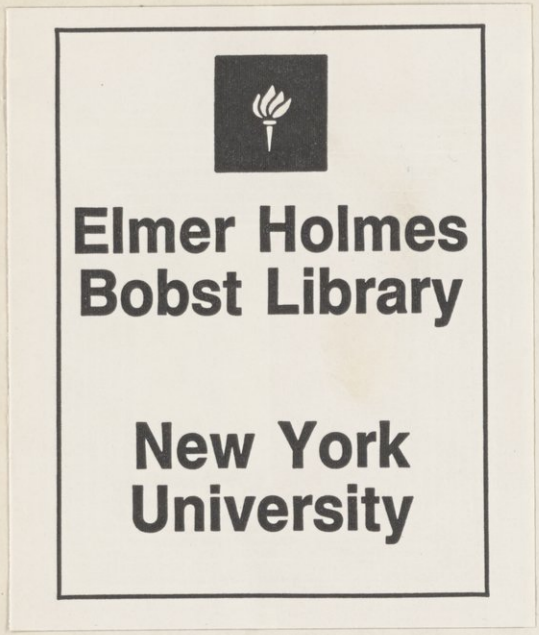
Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University

PERMA-BOUND

NYU - BOBST
31142 00193 6643
PJ7844.U79 I3

- سيأتي يوم أفضل على البشرية تستطيع فيه ان تجعل الناس سعداء .
- انني احب الفن لانه يجعل من الفنان الحقيقي آدمياً نبيلاً وشيئاً ذا قيمة في التطور .
- ان المشقة في ادراكنا لعللنا هي اننا صعبون في التصلب على مانراه الى جانبنا
- ان الحياة السياسية في البلاد المتحررة حديثاً نوع من الفيضان .
- يتطلب هذا يا سيدتي انظمة عادلة .سيادة القانون يجب ان تكون لحماية قوانين او مباديء عادلة .
- ماذا يهمني من أمر الاسكندر وقيصر وكسري وانطونيو وانا أرى شعوبهم . أرى البشرية
- ان الديمقراطية رأس مكاسب الانسان وأثمن ما ورث وما يجب ان يرث .
- ضربت مثلاً عاطلاً وسيئاً لا يمكن ان يتخذ مقارنة فان هناك بذوراً صالحة لكل تربة .
- تضايقني الطريقة السقيمة في العمل . . . التناقضات والصغائر وانتصار الكذب .

PJ
7844
.U79
I3
c.1

الثمن ٨٠ فلساً

طبع بمطبعة اتحاد الادباء العراقيين
على نفقة المؤلف